الباب الأول

الأناجيل سندا ونقلا

الفصل الأول : إنجيل عيسى.

الفصل الثانى : الأناجيل الأربعة.

الفصل الثالث : مصادر الإنجيل

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

إنجيل عيسى

عرفنا من الآيات التي أوردناها في التمهيد أن كل مسلم يؤمن ويصدق أن الله أنزل على عبده عيسى بن مريم وحيا سماه عز وجل بالإنجيل.

والنصارى [١] أيضا يؤمنون بأن عيسى عليه السلام نزل عليه وحى يسمى بالإنجيل حيث قال متَّى على لسان عيسى « الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل

---

(١) النصارى جمع نصران ، سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح (الكِشاف للزمخشرى) ج١ ص ٨٥ ، بتصرف) وجاء في ابن كثير ج١ ص١٠٣ فأصحابه (أي سيدنا عيسى) وأهل دينه هم النصارى ، وسموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم ، وقيل أنهم سموا بذلك لأنهم نزلوا أرضا يقال لها ناصرة .

وأيا كان السبب في هذه التسمية فإن كلمة النصارى في أول استعمالها كانت تعنى المؤمنين الذين صدقوا بدعوة عيسى ، ونصروه في هذه الدعوة ، لكن الناس الآن تعارفوا على إطلاقها على كل من اعتنق دعوة عيسى قبل التحريف أو بعد التحريف .

وكذلك النصرانية كانت تعنى أول الأمر دعوة عيسى التي جاءته من الله وآمن بها الحواريون « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحوايون نحن أنصار الله » (آل عمران / ٥٢) ولكنها الآن تعنى عند أهلها الدعوة التي اشتملت عليها الأناجيل الأربعة وكتاب أعمال الرسل والرسائل التبشيرية التي كتبها بولس وبطرس ويوحنا وغيرهم ..

وأحب أن أنوه هنا إلى أن استعمالي لكلمة النصارى بدلا من المسيحيين ، كان متابعة منى لمن سبقني من العلماء الأفاضل قديما وحديثا .

أيضا استعمال المسلم لكلمة المسيحيين يُسيغُ لغير المسلم أن ينسب المسلمين إلى رسول الله ﷺ «المحديون » وهذا فيه مغمز بأن الإسلام دين محمد وليس دين الله تعالى .

أيضا فإني أستعملُ كلمة النصارى بالمعنى الذي استقر عليه الناس أخيرا وهو أنهم كل من اعتنق دعوة عيسى سواء قبل التحريف أو بعد التحريف.

openkandil.com

العالم يخبر أيضا بما فعلته هذه تذكارا لها [١] » وقال مرقص « جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل [٢] » ، وفى رسالة بولس إلى أهل رومية قال « أشكر إلهي يسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم ينادى به في كل العالم فإن الله الذى أعبده بروحى في انجيل ابنه شاهد لى [٣] » ، فبهذه النصوص من الأناجيل والرسائل وبتلك الآيات القرآنية يثبت أن لعيسى إنجيلا كان يدعو الناس إلى العمل بما فيه .

ومع اعتراف النصارى والمسلمين بأن إنجيلا نزل من الله على عيسى بن مريم إلا أن أحدا لا يستطيع أن يأتي بهذا الإنجيل كاملا أو ناقصا ، ولا حتى بصورة منه ، والأناجيل الموجودة الآن ليست هي النص المطابق للإنجيل الذي نزل على عيسى وليست صورة منسوخة منه – وإلا لكانت متفقة فيما بينها في اللفظ والمعنى والتقديم والتأخير – لأن الإنجيل المنزل على عيسى كان قد فقد الكثير منه – إن لم يكن كله- قبل كتابة الأناجيل الموجودة في عصرنا الحاضر وذلك لما لحق النصارى في ذلك الوقت – وكانوا قلة – من قتل وتحريق وتعذيب وتشريد مما كان له أثره في ضياع الإنجيل المنزل على عيسى ، ويعطينا ابن حزم صورة واضحة للأحداث والظروف التي مرت بها دعوة عيسى والتي كانت سببا من أسباب ضياع الإنجيل الحق ، فيقول: «وأما النصارى فلا خلاف بين أحد منهم ولا من غيرهم في أنه لم يؤمن بالمسيح في حياته إلا مائة وعشرون رجلا فقط ، هكذا في الإفركسيس»[٤]

---

(١) متى ٢٦ : ١٣ .

(٢) مرقص ١ : ١٤ / ١٥ .

(٣) رومية ١ : ٨- ١٠ .

(٤) الافركسيس (أو الأبركسيس كما في تاريخ ابن البطريق ص ٩٦) هو الكتاب الثانى الذى تعظمه النصارى بعد الأناجيل الأربعة ، وقد ألفه لوقا الطبيب المذكور في أخبار الحواريين ، وهذا الكتاب يتكون من خمسين ورقة ، (انظر الفصل لابن حزم ج٢ ص٣) وهذا الكتاب هو ما يسمى في العصر الحاضر بكتاب « أعمال الرسل » ، انظر أعمال الرسل (١ : ١٥ ، ١٦) .

ونسوة .. وأن كل من آمن به فإنهم كانوا مستترين مخافين في حياته وبعده ، يدعون إلى دينه سرا ولا يكشف أحد منهم وجهه إلى الدعاء إلى ملته ولا يظهر دينه ، وكل من ظفر به منهم قتل إما بالحجارة كما قتل يعقوب بن يوسف النجارَ واشطين الذي يسمونه بكر الشهداء وغيره ، وإما صلب كما صُلِبَ باطرة واندرياس أخوه وشمعون أخو يوسف النجار وفليش وبولس وغيرهم ، أو قتلوا بالسيف كما قتل يعقوب أخو يوحنا [١] وطومار وبرتلوما ويهوذا بن يوسف النجار ومتى ، أو بالسم كما قتل يوحنا بن سيذاى فبقوا على هذه الحالة لا يظهرون البتة ولا لهم مكان يأمنون فيه مدة ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح عليه السلام ، وفى خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزل من عند الله عز وجل إلا فصولا يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم وخزيا لهم [٢] » ، وحتى هذه الفصول اليسيرة لم يعد لها وجود في أيامنا هذه .

فقلة الذين آمنوا بدعوة عيسى وخوفهم من الاضطهاد والتعذيب والقتل أدت إلى استتارهم بدينهم ، وبالتالي تقلص الدعوة وعدم ذيوعها بين بنى إسرائيل . ولقد كان المؤمنون برسالة عيسى في حرب ضارية مع قوى الشر والكفر لذلك لم تتح لهم الفرصة لكتابة الإنجيل ، وحتى لو كتب أحدهم منه شيئا فإن حالة القهر والتشتت والتعذيب حالت بينهم وبين الاحتفاظ بهذا الإنجيل .

أيضا قلة المدة التي مكثها عيسى بن مريم عليه السلام بين بنى إسرائيل هي الأخرى كان لها نصيب في عدم قدرة النصارى على الاحتفاظ بالإنجيل إذ كانت هذه المدة من القلة بحيث لم يستطع بنو إسرائل حفظ الإنجيل في صدورهم وتلقيه جيلا عن جيل بطريق التواتر كتابة وحفظا كما هو الحال في القرآن [٣] .

---

(١) أعمال الرسل (٧ : ٥٨) وتاريخ ابن بطريق ص٩٤ ، ٩٧ .

(٢) ابن حزم (أبى محمد علِى بن أحمد بن حزم الظاهري) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (مكتبة الخانجى بالقاهرة) ج٢ ص٤ ، ٥ انظر تاريخ ابن البطريق من ٩٤ – ١٠١ .

(٣) لست بهذا من المعترضين على مدة رسالة عيسى فهذه حكمة الله تعالى وهو وحده الأعلم برسله ورسالاته ، ولكني فقط أذكر أمرا تاريخيا كان له أثر في عدم قدرة النصارى على الاحتفاظ بكتابهم وحمايته من التبديل والتحريف .

أيضا ظهور بولس بعد رفع عيسى بمدة قليلة وتبشيره بدعوة جديدة وادعاؤه بأن عيسى ابن الله ، كان هو الآخر من العوامل التي غيرت معالم الإنجيل المنزل على عيسى إذ بلا شك قد زيد فيه وأُنقِصَ منه كي يتواءم مع دعوة بولس الجديدة .

وبنو إسرائيل أنفسهم كان لهم دور كبير في ضياع الإنجيل السماوي وذلك لنسيانهم وتناسيهم كثيرا من آيات هذا الكتاب ، كما كانوا يخفون كثيرا من هذه الآيات، وكلما طال الزمن على ما تناسوه أو أخفوه ضاع وتلاشى الإنجيل الصحيح وأصبح في عالم الخفاء والنسيان ، والقرآن الكريم قد سجل على النصارى نسيانهم بعضا مما ذكرهم الله به على لسان رسوله عيسى بن مريم ، مذكرا لهم بأن محمدا – الذي أرسله الله للناس أجمعين – قد جاء ليبين لهم كثيرا من الشرائع والأحكام والآيات التي كانوا يخفونها عن الناس فقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ ﴾ [1] يقول صاحب الكشاف : (يأهل الكتاب) خطاب لليهود والنصارى (مما كنتم تخفون) من نحو صفة رسول الله ﷺ ومن نحو الرجم (ويعفو عن كثير) مما تخفونه لا يبينه إذا لم تضطر إليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة إلا اقتضاء حكم وصفته مما لا بد من بيانه ، وكذلك الرجم وما فيه من إحياء شريعة وإماتة بدعة .. (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولإبانته ما كان خافيا عن الناس من الحق) [2] .

---

(١) المائدة / ١٤ ، ١٥ .

(٢) الزمخشرى (أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمي) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (دار المعرفة ، لبنان) مج١ ص٦٠١ .

ويقول ابن كثير بعد قوله تعالى (يأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثير ا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير) أي يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه وافتروا على الله فيه [١] .

فهذا الحكم ينطبق على جميع أهل الكتاب الذين هم اليهود والنصارى ، وبذلك فالنصارى قد بدلوا وحرفوا وأولوا وافتروا على الله الكذب والبهتان .

وهذا النسيان والإخفاء ، والتبديل والتحريف يبعد بكتاب الله الذي نزل على عيسى عن أن يكون وحيا سماويا ، بل إنه في النهاية يكون كتابا بشريا لا علاقة له بقدسية إلهية ، وحينئذ لا يكون كتابا واجب التسليم له وإنما يجب على كل مؤمن أن يكون حذرا في قبول أو رفض شيء مما ينسب إلى عيسى عليه السلام فقد تكون هناك إضافات زيدت على ما قاله رسول الله ، أو أقوال نسيت أو أخفيت فيضيع الحق بين الزيادة والنقص .

كثرة الأناجيل وتعددها بعد عيسى

عرفنا أن الإنجيل الذي نزل على عيسى قد حدث فيه تبديل وتغيير وتأويل وتحريف ، وأنه بسبب الظروف التي ذكرتها قد ضاع هذا الإنجيل ولم يعد له وجود الآن ، لكننا نرى في أيدي النصارى أناجيل أربعة [١] مقدسة عندهم ، وعليها معتمدهم ، فما الدافع لوجود هذه الأناجيل ؟ وما علاقة هذه الأناجيل بالإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام؟ وكيف ومتى كتبت الأناجيل الأربعة والأناجيل الأخرى الكثيرة التي أحرقت بأمر الكنيسة والمجامع المقدسة ؟

هناك أسباب عدة ودوافع مختلفة أدت إلى ظهور هذه الأناجيل المقدسة عند النصارى والأناجيل الأخرى التي رفضتها الكنيسة ، هذه الدوافع هي:

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ٢ ص٢٤ .

(٢) قد يقول البعض لم لا تقول الأناجيل الخمسة باعتبار أن إنجيل برنابا من أصح الأناجيل عند المسلمين ؟ والجواب : أنني اقتصرت على الأربعة التي يعتقد النصارى صحتها فإذا ما بينت خطأها واضطرابها كان هذا أوقع في إثبات باطلهم وانحرافهم .

١- أول هذه الأسباب يكمن فيما جاء في أعمال الرسل [١] من أن بولس كان ذاهبا إلى دمشق مضمرا الشر والتنكيل بأي رجل أو امرأة تنتمي إلى دعوة عيسى ، وبينما هو ذاهب إلى هدفه ، إذ به يرى نورا قد أبرق حوله بغته فسقط على الأرض وحينئذ سمع صوتا يقول له : شاول شاول لم تضطهدنى ؟ فقال من أنت يارب ؟ قال أنا يسوع الذي أنت تضطهدني ، فقال وهو مرتعد منذهل: يارب ماذا تريد أن أصنع ؟ فطلب منه يسوع أن يكرز بالمسيحية ، يقول لوقا في ختام هذه القصة ، وللوقت أخذ يكرز في المجامع بالمسيح أنه هو ابن الله)) .

فإذا علمنا أن هذه القصة كانت ما بين عام ٣٨ مـ٤٠ م [٢] تقريبا ، أي بعد نهاية عيسى على الأرض بخمس سنين – أو ست أو سبع – وعرفنا أن هذه القصة اشتملت على دعوى جديدة [٣] لم تكن في الإنجيل الذي نزل على عيسى – أو على

---

(١) أعمال الرسل ٩: ٣ – ٢٠ .

(٢) راجع في هذا أعمال الرسل (٨ : ١ ((أ)) وأيضا تاريخ ابن البطريق صفحات ٩١ – ٩٤ فبالمقارنة يمكن الوصول إلى هذه النتيجة .

(٣) إنما قلت دعوى جديدة لأن نظرة المسلمين إلى دعوة بولس تقوم على أنها دعوى باطلة لا أصل لها في إنجيل عيسى ولأنها تعطى عيسى طبيعة إلهية تماثل ألوهية الله تعالى.
وقول بولس أن الإنجيل الذي بشر به على يدي ليس بحسب إنسان بل بوحى يسوع المسيح يدل على أن هذه أول مرة يكرز فيها بالمسيح على أنه هو ابن الله ، إذ لو كان هذا معروفا قبل ذلك لما كانت هناك حاجة لإعلام الناس بذلك وإثبات صدقه بأنه كان بوحى من عيسى فالأمر المعلوم الذي صدقت به الجماعة لا يحتاج لمثل هذا التأكيد والإثبات .
على أن هذه الدعوة لو كانت قد صدرت من عيسى قبل نهايته على الأرض لكان قد أخبر بها الحواريين ولكن ليس هناك ما يدل على هذا ، كما أن كلمة بشر لا تطلق على الأمر القديم المعروف للجميع وإنما تطلق على الأمر الجديد الذي يفرح الناس بسماعه .
وأما أنها دعوة جديدة فهذا باعتبار نظرة النصارى إلى دعوة بولس تلك النظرة التي نراها في هذه الأقوال التي جاءت في مقدمة التفسير لرسالة رومية ففي ص ١٦ ((كان فكر بولس مليئا بخطط جديدة لنشر الإنجيل)) . ((ويدعو بولس نفسه المفرز لإنجيل الله أي المخصص لنشر الأخبار المرحة ، وفى ص٢٧)) كان بولس واعيا أن الله والكنيسة قد أفرزه لعمل خاص وقد منحه الله رسالة وتكليفا ليوصل الإنجيل للأمم ، وفى ص ٢٨)) وبعد أن يقدم بولس نفسه يعطى ملخصا للتعاليم الأساسية في إنجيله ، إنه إنجيل يتركز حول يسوع المسيح وفى ص ٣٢ بوصولنا إلى هاتين الآيتين تنتهي مقدمة بولس ويرتفع صوت إنجيل بولس . . فقد بدأ بولس يقول إنه يفتخر بالإنجيل الذي تشرف بإعلانه.

الأقل لم يقع نص مثل هذا في يد بولس – إذا علمنا هذا وذاك عرفنا أنه بعد خمس سنين – تقريبا – من نهاية عيسى ابتدأت دعوة جديدة ، هذه الدعوة الجديدة لابد لها من إنجيل يوضحها ويؤكدها ، ورسائل تشرحها وتبينها ، وقد كانَ ، فبولس الذي زعم أن عيسى كلفه بالتكريز في المجامع بأنه ابن الله ، ادعى أنه لم يقل هذا من عنده وإنما نزل عليه من يسوع المسيح ، وقد أخبر بولس جماعته بهذا فقال لهم «أعلمكم أيها الإخوة أن الإنجيل الذي بشر به على يدي ليس بحسب إنسان لأني لم أتسلمه أو أتعلمه من إنسان بل بوحي يسوع المسيح »[١] .

(٢) ويعطينا لوقا سببا جديدا لظهور هذه الأناجيل فيقول « إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة رأيت أنا أيضا إذ تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به[٢] ».

فالتقليد قد دعاهم لتأليف قصص ينسجونها حول عيسى عليه السلام ودعوته ومعجزاته ، ومعلوم أن القصصي يكون متأثرا بالخيال والعاطفة ، والخيال غالباً ما يكون بعيدا عن الحقيقة ، من هنا كثرت الأناجيل وكثر معها الخيال البعيد عن الحقيقة ، البعيد عما جاء في الإنجيل الذي نزل على عيسى الرسول الكريم .

قال آدم كلارك في المجلد السادس من تفسيره:

« هذا الأمر محقق أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أول القرون المسيحية وكثرة هذه الأحوال الكاذبة غير الصحيحة هيجت لوقا على تحرير الإنجيل، ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل باقية[٣] » .

---

(١) غلاطية (١: ١١ ، ١٢)

(٢) لوقا (١: ١ – ٤)

(٣) رحمة الله الهندى إظهار الحق ، جـ١ ص ٣٠٩ .

٣- أضف إلى هذا وذاك أن دعوى بولس بأن عيسى ابن الله قد فجرت جدلا كثيرًا وخلافات طاحنة لاشك كان لها أثرها في تعدد الأناجيل واختلافها فيما بينها

فالذي حدث بعد عيسى عليه السلام أن النصارى قد اختلفوا في حقيقته عليه السلام ، هل هو من طبيعة إلهية أم من طبيعة بشرية ، أم هو من كلتا الطبيعتين ؟ وترتب على هذا الخلاف أن تعددت الأناجيل ، فبعضها يناصر دعوى الطبيعة الإلهية ، وبعضها يناصر القول بالطبيعة البشرية وفريق ثالث يناصر القول بالطبيعتين ، وكان أن تضاربت الآراء وتفرقت الجماعة وتناقضت الأناجيل فيما بينها ، ولزم البت في هذه القضية والوصول إلى رأى موحد في حقيقة عيسى حتى يمكن توحيد الأناجيل على هذا الرأي الواحد الذي يتفق عليه المجمع الكنسي ويقره علماء النصرانية .

وجمع قسطنطين البطاركة والأساقفة للتشاور في هذا الأمر ، وتناظروا ، ورجحت كفة المؤلهين لعيسى على كفة الموحدين لله تعالى ، وأصدر مجمع الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا قراره بالإيمان برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد .

وكان طبيعيا أن يقضى على الأناجيل المخالفة لهذا القرار ، ولذلك أصدر المجمع المذكور قراره بتحريق الكتب والرسائل والأناجيل التي تخالف ما اتفق عليه المجتمعون في مجمع نيقية من ألوهية عيسى عليه السلام .

ولم يقتصر الأمر على قرار التحريق بل كانت في القرار فقرة تتضمن تحريم قراءة تلك الكتب والأناجيل المخالفة لما قرره المجمع المذكور .

ويصور ابن البطريق هذه الأحداث فيقول [١]: كان بالإسكندرية رجل كافر يقال له آريوس يقول إن الأب وحده هو الله والابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الأب إذ لم يكن الابن ، فقال بطرس البطريرك – أي بطريرك الإسكندرية – لتلميذيه : إن السيد المسيح لعن آريوس هذا فاحذروا أن تقبلاه أو تقبلا قوله فإني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب فقلت له يا سيدي من شق ثوبك ؟ فقال لي آريوس

(١) سعيد ابن البطريق (أفتيثيوس) ، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، طبع بيروت سنة ١٩٠٥م ، ص١١٦ / ١١٧ .

فاحذروا أن تدخلوه معكم في الكنيسة.

ثم يتابع ابن البطريق حديثه قائلا [١] : « فبعث قسطنطين الملك إلى جميع البلدان فجمع البطاركة والأساقفة فاجتمع في مدينة نيقية - بعد سنة وشهرين - ألفان وثمانية وأربعون أسقفا وكانوا مختلفي الآراء والأديان ، فمنهم من كان يقول : المسيح وأمه إلهان من دون الله وهم البربرانية ويسمون المريميين .

ومنهم من كان يقول: إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها . وهى مقالة سابيليوس وشيعته. ومنهم من كان يقول : لم تحمل به مريم تسعة أشهر وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب لأن الكلمة دخلت في أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها ، وهى مقالة إليان وأشياعه .

ومنهم من كان يقول : إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره ، وأن ابتداء الابن من مريم ، ولأنه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الإنسي صحبته النعمة الإلهية وحلت فيه بالمحبة والمشيئة ، ولذلك سمي ابن الله ، ويقولون إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ، ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس ، وهى مقالة بولص السميساطى بطريرك أنطاكية وأشياعه وهم البوليقانيون .

ومنهم من كان يقول إنهم ثلاثة آلهة : صالح وطالح وعدل بينهما ، وهى مقالة « مرقيون » اللعين وأصحابه ... ومنهم من كان يقول : بتأله المسيح وهى مقالة بولص الرسول ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا .

فلما سمع قسطنطين الملك مقالاتهم عجب من هذا الاختلاف وأخلى لهم دارا وأقام لهم فيها الإنزال وأمرهم أن يتناظروا لينظر مع من الدين الصحيح فيتبعه ، فاتفق منهم هؤلاء الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا على دين واحد ورأى واحد فناظروا بقية الأساقفة فأفلجوا عليهم حججهم وأظهروا الدين المستقيم .

وهكذا كانت الفرق متعددة ، والآراء مختلفة ومتضاربة ، وهذا أدعى لأن تضع

---

(١) المرجع السابق ص١٢٦ .

كل فرقة لها إنجيلا خاصا بها ليوضح للناس عقيدة هذه الجماعة في عيسى عليه السلام وحقيقة طبيعته ، وكما قال ول ديورانت «الأربعة الأناجيل التي وصلت إلينا هي البقية من عدد أكبر منها كانت في وقت ما منتشرة بين المسيحيين في القرنين الأول والثاني [١] » .

ومع هذه الكثرة الكبيرة من الأناجيل لم يبق منها إلا هذه الأناجيل الأربعة لأن مجمع نيقية كان سببا في طمس الكثير من هذه الأناجيل[٢] والكتب والرسائل إذ لم يبق مسموحا لأحد من النصارى باقتناء أو قراءة شيء من هذه الأناجيل إلا ما وافقت عليه المجامع الكنسية المذكورة .

وهذه الكتب والأناجيل والرسائل التي أُقِرَتْ من المجامع الكنسية المتعددة تنقسم إلى قسمين: قسم اتفق قدماء النصارى على صحته فاقر في أول مجمع كنسي ، وهذا القسم يضم عشرين كتابا منها الأناجيل الأربعة: متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، وكذلك كتاب أعمال الرسل ، ورسائل بولس وهى ثلاث عشرة رسالة ، والرسالة الأولى لبطرس والأولى ليوحنا سوى بعض الفقرات منها كانت محل شك [٣] .

---

(١) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ج١١ (الجزء الثالث من المجلد الثالث) ص٢٠٦ .

(٢) وضعت دائرة المعارف الأمريكية قائمة بالأناجيل والكتب المرفوضة من الكنيسة منها : إنجيل توما – إنجيل متى المكذوب – الأناجيل اليهودية الأربعة وهى : إنجيل العبريين ، إنجيل الناصريين . إنجيل الاثنى عشر ، إنجيل الأبيونيين – إنجيل المصريين – وقد سمي بهذا الاسم لانتشاره بينهم – إنجيل بطرس ، وكان يستخدم للقراءة الخاصة أو للعبادة في الربع الأخير من القرن الثاني – إنجيل باسيليوس – إنجيل ماركيون – إنجيل أبللس – إنجيل ناسينس – إنجيل فيليب – إنجيل ماتساس – إنجيل مريم – إنجيل برثولماوس – إنجيل نيقوديموس – إنجيل غمالائيل – إنجيل الكمال – إنجيل اندراوس إنجيل برنابا – إنجيل الانكراتيين – إنجيل هسيشيوس – إنجيل يهودا – إنجيل ثداوس – إنجيل الحق – رسالة أعمال أندراوس – رؤيا استفانوس .
(نقلا عن كتاب / المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ط سنة ١٣٩٨ ه – ١٩٧٨ م ص٣٧ .

(٣) رحمه الله بن خليل الرحمانى العثماني الكيرانى ، إظهار الحق ، (تحقيق / عمر الدسوقى ، مراجعة / عبد الله بن إبراهيم الأنصارى ، طبع على نفقة الشئون الدينية بدولة قطر) ج١ ص٩٧ .

أما القسم الثاني من كتب العهد الجديد فهو يتكون من: ست رسائل وكتاب مشاهدات يوحنا ، وكتب هذا القسم اختلف فيه قدماء النصارى فلما عقدت المجامع الكنسية للنظر في الكتب والأناجيل والرسائل اتفقت هذه المجامع على صحة بقية الرسائل والكتب كما يلي:

في عام ٣٤٦م عقد مجمع كنسي يسمى بمجلس (لوديسيا) وفيه حكم المجمع بصحة رسائل ست هي: رسالة يعقوب ، والرسالة الثانية لبطرس ، والثانية والثالثة ليوحنا ، ورسالة يهوذا ، ورسالة بولس إلى العبرانيين .

وفى عام ٣٩٧م اجتمع المجمع الكنسي وانتهى الاجتماع بالموافقة على صحة كتاب مشاهدات يوحنا [١] .

وبهذه المجالس الكنسية أصبحت الكتب والرسائل المشكوك فيها صحيحة وواجبة التسليم ، وأبلغت كل الكنائس بمقررات هذه المجامع وأصبحت الكتب والرسائل المذكورة متداولة بين أيدي النصارى في كل مكان يتواجدون فيه .

من هذا العرض السريع والمختصر يتبين لنا ما يلي:

١- أن الكتب والأناجيل والرسائل التي ظهرت بعد عيسى عليه السلام لم تكن كلها محل قبول وثقة من رجالات الكنيسة في أول الأمر ، وإنما كان بعضها محل ثقة من غالبية النصارى والبعض الآخر كان محل شك من هذه الغالبية النصرانية .

٢- أن هذا البعض الذي كان محل شك وعدم ثقة لم يكتسب الثقة والصحة بعد ذلك بأمر إلهي أو بإلهام رباني وإنما تم ذلك بقرار من البطاركة والقسس ، وهذا في حد ذاته تأكيد للشك القائم في هذه الكتب إذ كيف كانوا رافضين لها ثم أصبحوا مصدقين بها مع أنها هي في كلتا الحالتين ؟

٣- أن هذه الكتب لو كانت وحيا سماويا أو إلهاما ربانيا ما شك فيها البعض ، وما ظل البعض على شكه فيها بعد ذلك كما هو الحال عند علماء البروتستنت ، وكما كان من أصحاب الطبيعة البشرية من شك في كتب أصحاب الطبيعة الإلهية

---

(١) رحمة الله الهندى ، إظهار الحق ، ج١ ص٩٨ .

وبالعكس .

٤- حين وجد الشك في بعض هذه الكتب والرسائل انتفى عنها - وعن غيرها- صفة الإلهام والقدسية لأنه لكي يصدق الناس بأن هذا الكتاب وحى سماوي أو إلهام من المولى عز وجل ، لكي يكون هذا فلا بد في هذه الحالة من وجود سند قوى يثبت أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبي الفلاني ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل ، والاستناد إلى شخص ذي إلهام بمجرد الظن والوهم لا يكفى في إثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص ، وكذلك مجرد ادعاء فرقة أو فرق لا يكفى في إثبات هذا [١] الأمر ، وكتب النصارى من أولها إلى آخرها لا تقوم على السند المتواتر الذي يرويه جمع عن جمع يحيل العقل تواطؤهم على الكذب – وسأبين هذا فيما بعد – فهذه الأناجيل الأربعة التي عليها معتمد النصارى في كل أمورهم الدينية والدنيوية ما هي إلا قصص وتواريخ – كما اعترف بهذا لوقا في أول إنجيله – ألفها أصحابها قاصدين بذلك تسجيل ما وقع للسيد المسيح وهو يدعو لرسالته ، وما كان من أمر اليهود تجاه عيسى ودعوته ، وما كان من أمر المعجزات التي ظهرت على يد المسيح تأييدا له من الله تعالى ، يقول ابن حزم « وأما النصارى ... (فإنهم) لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله على المسيح ولا أن المسيح أتاهم بها بل كلهم أولهم عن أخرهم ، آريوسيهم ، وملكيهم ، ونسطوريهم ، ويعقوبيهم ، ومارونيهم ، وبولقانيهم ، لا يختلفون في أنهم أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة [٢] » .

لكن الكنيسة وعامة النصارى يدعون أن هذه الأناجيل كتبت بالإلهام وكتبتها امتلأوا من الروح القدس وأيدوا بالمعجزات .

---

(١) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق ، ج١ ص١٠١ .

(٢) ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج٢ ص٢ / ٣ .

٥- في كثرة هذه الكتب والأناجيل واختلاف اتجاهاتها وأهداف كتبتها دلالة قوية على اختلافها فيما بينها نصا ومضمونا وهذا أدعى للشك في كتب النصارى هذه لأن ما نزل على عيسى كان إنجيلا واحدا .

وبعد:

فلكي يكون الحكم على هذه الأناجيل حكما علميا لا بد من دراسة هذه الأناجيل سندا ونقلا ، نصا ومتنا ، دراسة مدعمة بالأدلة والبراهين مستندين في هذا – في أغلب الأحيان – إلى أقوال هذه الكتب ، لكن قبل الدخول في هذه الدراسة التحليلية أنبه إلى نقطتين مهمتين هما :

قانونية الأناجيل :

١- إن المسيحيين الأوائل لم يكونوا يعتقدون أن كتبهم المقدسة تكون عهدا جديدا يتميز عن العهد القديم فقد كان العهد القديم والجديد شيئا واحدا ... وعندما ظهرت أولى الكتابات المسيحية فقد كان ينظر إليها جميعا باعتبارها إضافات صحيحة أو ملحق لما في أسفار القاموس والأنبياء التي كانت تقرأ أسبوعيا في المعبد اليهودي والكنيسة المسيحية .

إن العهد الجديد كتاب غير متجانس ، ذلك أنه شتات مجمع ، فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله إلى آخره لكنه في الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة [١] .

٢- في فترة المئة والخمسين عاما الأخيرة تحقق العلماء أن الأناجيل الثلاثة الأولى تختلف عن إنجيل يوحنا أسلوبا ومضمونا .... فإنجيل يوحنا لا يذكر أي شيء عن رواية الميلاد.... وبالنسبة للروايات التي تحكى نشاط يسوع الجماهيري فإنه توجد اختلافات في الزمان والمكان إذا قورنت بنظيرتها في الأناجيل المتشابهة.... وأن التاريخ المضبوط الذي تحددت فيه قانونية أسفار العهد الجديد غير مؤكد [٢] .

٣- إن هناك مشكلة هامة صعبة تنجم عن التناقض الذي يظهر في نواح كثيرة

---

(١) فرديك جرانت ص ١٢ ، ١٧ .

(٢) جنتر لانزكونسكى ص٣٢ – ٣٦.

بين الإنجيل الرابع والثلاثة المتشابهة باعتبارها صحيحة موثوق بها فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا [١].

٤- ليس لدينا أية معرفة مؤكدة بالنسبة للكيفية التي تشكلت بموجبها قانونية الأناجيل الأربعة ، ولا بالمكان الذي تقرر فيه ذلك .

تحريف الأناجيل:

وبالنسبة لموضوع التحريف وإدخال كلمات في النص أو استخراجها منه نقرأ الآتي:

أما موقف الأناجيل فعلى العكس من رسائل بولس ، إذ أن التغيرات الهامة قد حدثت عن قصد ، مثل إدخال أو إضافة فقرات بأكملها [٢] .

إن نصوص جميع هذه المخطوطات للعهد الجديد تختلف اختلافا كبيرا ولا يمكننا الاعتقاد بأن بعضها قد نجا من الخطأ ... ومهما كان الناسخ حي الضمير فإنه ارتكب أخطاء وهذه الأخطاء بقيت في كل النسخ التي نقلت عن نسخته الأصلية ، إن جميع النسخ من جميع الأحكام قد تعرضت لتغيرات أخرى على أيدي المصححين الذين لم يكن عملهم دائما إعادة القراءة الصحيحة [٣] .

---

(١) دائرة المعارف الأمريكية (١٣ / ٧٣).

(٢) دائرة المعارف البريطانية (٢ / ٥١٩ - ٥٢١).

(٣) جورج كيرذ ص٣٢ .

الفصل الثاني

الأناجيل الأربعة

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

الأناجيل الأربعة

لكي نصل إلى معرفة حقيقة الأناجيل الأربعة فإن هذا يستلزم تناول هذه الأناجيل من ناحيتين هما؟

١- دراسة السند الذي قامت عليه هذه الأناجيل وانتقلت من جيل إلى جيل ، وعلاقة هذا السند بعيسى عليه السلام بعدا أو قربا ، صدقا أو كذبا .

٢- دراسة المتن والنص ، أي إعطاء صورة عن المتون التي في هذه الأناجيل حتى يتبين هل هذه المتون صادقة أم كاذبة ، وما الحكم فيها لو تبين صدقها أو كذبها ؟

فأما الناحية الأولى وهى السند الذي قامت عليه الأناجيل :

فإن الكنيسة – ومعها عامة النصارى – ترى أن الأناجيل الأربعة قد بلغت من الصدق والأمانة في النقل والوثوق بها حدا لا يستطيع معه أي إنسان – مهما أوتى من علم وثقافة ومعرفة – أن يشكك في هذه الأناجيل أو يقلل من شأنها أو يحط من قدرها ومكانتها . فهذه الأناجيل في سندها – كما يعتقد النصارى – ذات ميزة قل أن توجد في كتاب مقدس آخر وذلك لأن كتبتها رسل ملهمون يوحى إليهم ، فما كتبوا شيئا في هذه الأناجيل إلا بوحي من الله ، وقد كان روح القدس يتجلى لهم فامتلأوا جميعا من الروح القدس وأصبحوا يتكلمون بألسنة غير ألسنتهم وبأفواه غير أفواههم ، ومن لم يكن منهم رسولا فإنه كان تلميذا لرسول .

وكيف لا يكون كتبة الأناجيل بهذه المثابة وقد أعطاهم عيسى عليه السلام قدرة على إظهار الخوارق والإتيان بالمعجزات الدالة على أنهم رسل – حتى وإن لم يكونوا قد ادعوا الرسالة – ملهمون ، لقد أوصى عيسى تلاميذه بدعوة خراف بنى إسرائيل الضالة قائلا لهم « إشفوا مرضى ، طهروا برصا ، أقيموا موتى ، أخرجوا شياطين »[1] .

---

(١) إنجيل متى (١٠ : ٨) .

ومع هذه القدرة على إظهار هذه المعجزات فإنهم أيضا سيكونون مدعمين بقوة إلهية ، بهذه القوة الإلهية لن يكونوا هم المتحدثون مع الناس ولكن روح الله هي التي تكون فيهم ، وهى التي تتحدث وتتكلم – هكذا – ،، ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات ، بسطاء كالحمام ، ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس ، وفى مجامعهم يجلدونكم وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى شهادة لهم وللأمم فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم [١] .

وكتبة الأناجيل – كما يعتقد عامة النصارى – لم يكونوا وحدهم حين بدأوا يبشرون بالدعوة للإيمان الذي جاء به عيسى عليه السلام بل كان معهم روح القدس ، وإذ كان معهم روح القدس كان قولهم حقا ، وحديثهم حقا ، يحكى يوحنا عن ظهور المسيح بعد صلبه – كما يدعون – فيقول ((ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول أيام الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود جاء اليسوع ووقف في الوسط وقال لهم سلام لكم ، ولما قال هذا أراهم يده وجنبه ففزع التلاميذ إذ رأوا الرب فقال لهم يسوع أيضا سلام لكم كما أرسلني الأب أرسلكم أنا ، ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت)) [٢] .

وهذه الصورة ذاتها يذكرها لوقا مبينا أن روح القدس هو الذي يعلم التلاميذ ويقويهم ويدعم حججهم فيقول في إنجيله ((ومتى قدموكم إلى المجامع والرؤساء والسلاطين فلا تهتموا كيف أو بما تحتجون أو بما تقولون لأن روح القدس يعلمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه [٣])) .

---

(١) متى (١٠ – ١٦ – ٢٠) .
(٢) إنجيل يوحنا (٢٠ : ١٩ – ٢٣) .
(٣) لوقا (١٢ : ١١ ، ١٢) .

وهؤلاء التلاميذ والدعاة حين يتكلمون مع الناس والأمراء والسلاطين إنما يتكلمون بفم وحكمة جاءتهم من عيسى ﷺ ومن كان هكذا لا يقول إلا حقا ولا يكتب إلا صدقا ، يقول لوقا ذاكرا نصيحة عيسى لهؤلاء التلاميذ وما يصيبهم على يد أعدائهم « يطردونكم ويسلمونكم إلى مجامع وسجون وتساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمي فيؤول ذلك لكم شهادة [١] فضعوا في قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكي تحتجوا لأني أنا أعطيكم فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها [٢] » .

وإذا كان تلاميذ عيسى قد تلقوا فما وحكمة منه ﷺ لا يمكن لأحد مقاومتهما فإنهم أيضا قد ألبسوا قوة من الأعالي « كان ينبغي أنْ يتألم المسيح ويقوم من الأموات في اليوم الثالث وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم [٣] مبتدأ من أورشليم وأنتم شهود لذلك ، وها أنا أرسل إليكم موعد أبي فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي ، وأخرجهم خارجا إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم [٤] » .

والذين يتشككون أو يشككون في الأناجيل هم في رأى النصارى بعيدون عن الحق مجانبون للصواب ، إذ كيف يتشككون وعيسى لم يترك تلاميذه ولا أتباعه بعد نهايته على الأرض فهو دائما معهم يعاونهم ويؤيدهم ، لقد قال لهم حين أرسلهم يبشرون بدعوته : « اذهبوا إلى العالم وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها ، من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يُدَن ، وهذه الآيات تتبع المؤمنين ، يخرجون الشياطين باسمي ، ويتكلمون بألسنة جديدة ، يحملون حيات ، وإن شربوا شيئا مميتا لا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون ، ثم إن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس على يمين الله ، وأما هم فخرجوا وأكرزوا في كل

---

(١) انظر لمن تكون الشهادة هنا والشهادة في متى (١٠ : ١٦ – ٢٠) .

(٢) لوقا (٢١ : ١٢ – ١٥) .

(٣) انظر هذا وما جاء في متى « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة (متى ١٥ : ٢٤) وقول متى أيضا « إلى أمم لا تمضوا إلى مدينة للسامرين لا تدخلوا (متى ١٠ : ١٥) .

(٤) لوقا (٢٤ : ٤٦ – ٥٠) .

مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة [١] .

وهكذا نجد تلاميذ المسيح كانوا رسلا – كما هو معتقد النصارى – مؤيدين بالمعجزات ملهمين من الله وروح القدس معهم – وكذلك المائة والعشرون الذين خطب فيهم بطرس – وعيسى أعطاهم فما وحكمة وألسنة جديدة وكان يعمل معهم ويثبت كلامهم بالآيات والمعجزات ، ويكفى أن يكون لهؤلاء التلاميذ قوة من الأعالي.

فهل بعد هذا يستطيع أحد الناس أن يشكك في هذه الأناجيل التي هي من كلام الله ومن حديث الروح القدس ، وعيسى عليه السلام عارف بها وعالم بمضمونها ؟

الحق – الذي تراه الكنيسة وعامة النصارى – أن هذه الأناجيل قد نقلت بطريق أمين وموثوق ، وأن كتبة الأناجيل ليسوا أشخاصا عاديين بل هم رسل يأتيهم الوحي الإلهي وينزل عليهم الروح القدس بما يتحدثون ويكتبون ، ويبارك عيسى عملهم هذا ويؤيدهم بالآيات التابعات ، فهل بعد هذا يوجد مجال للطعن أو للشك في هذه الأناجيل ؟

وتأكيدا للصدق والأمانة في كتابة هذه الأناجيل نرى النصارى يقللون من الفترة الزمنية التي كانت بين نهاية عيسى على الأرض وكتابة هذه الأناجيل ، فهي من القلة بحيث لا يمكن معها نسيان التراث الشفهي الذي تلقاه التلاميذ من عيسى ، وكيف ينسون وهم رسل ملهمون وروح القدس معهم ، إن هذا شيء يستحيل حدوثه وكيف يخطئون وهم مؤيدون بقوة من الأعالي وعيسى يعاونهم في كل أعمالهم وأحوالهم ؟

أضف إلى هذا أن غالبية النصارى تعتقد « أن كتاب الأناجيل شهود عيان على حياة المسيح وأنهم بهذا قد أقاموا شهادات لا تقبل الجدل عن الأحداث التي وقعت في حياته وتبشيره ، فكيف للمؤمن عندما يواجه ضمانات الصحة هذه أن يناقش المعلومات التي قد تحتويها ؟ كيف يمكن للمؤمن أن يشك في قيمة المؤسسة

---

(١) مرقس (١٦ : ١٥ – ٢٠) .

الكنسية التي نشأت بفضل تطبيق التوجيهات العامة التي أعطاها المسيح ، إن طبعات الأناجيل الحالية الموجهة للعامة تحتوى على تعليقات تهدف إلى نشر هذه المعلومات بين الجمهور .

فالمسئولون عن هذه الطبعات يقدمون صفة شهود العيان من محرري الأناجيل باعتبارها أمرا بديهيا ، ألم يكن القديس جوستين في منتصف القرن الثاني يطلق على الأناجيل اسم : « مذكرات الرسل » ؟ ثم إن التحديدات التي تعلن على الملأ والتي تخص المحررين هي من الكثرة بحيث إن المسيحي يتساءل كيف يمكن الشك في صحتها ؟ على سبيل المثال يقال إن متى كان شخصية معروفة وكان موظفا بمكتب الجمارك أو ضرائب المرور بكفر ناحوم ، بل يقال أيضا إنه كان يعرف الآرامية واليونانية ، أما مرقس فهويته معروفة تماما باعتباره مساعد بطرس فلا شك إذن أنه كان شاهد عيان ، وأما لوقا فهذا هو الطبيب العزيز الذي يتحدث بولس عنه والمعلومات عنه دقيقة جدا ، وأما يوحنا فهو الرسول القريب دائما من المسيح وهو ابن زبيد الصياد ببحيرة كثروت [١] » .

ولقد أعلن المجمع المسكونى الثاني للفاتيكان في دستوره العقدي الذي أعد فيما بين ١٩٦٢ ، ١٩٦٥ م أنه « لا يغفل عن أي إنسان أن من بين الكتب المقدسة بل حتى كتب العهد الجديد كان هناك ما يتمتع عن حق بالامتياز مثل الأناجيل باعتبار أنها تكون شهادة حقيقية عن حياة ودرس الكلمة المجسدة أي منقذنا ، فدائما وفى كل مكان حفظت الكنيسة – ومازالت – الأصل الرسولى للأناجيل الأربعة ، والواقع أن ذلك هو الذي دعا إليه الرسل بأمر المسيح فقد نقلوا إلينا أنفسهم والناس الذين كانوا يحيطون بهم وبتأثير من الوحي الإلهي للروح كتابات هي أساس الإيمان ، ونعنى الإنجيل المربع : متى ومرقس ولوقا ويوحنا .

إن كنيستنا الأم المقدسة قالت وتقول بحزم وثبات دائمين إن هذه الأناجيل

---

(١) موريس بوكاى ، القرآن الكريم والتوراه والأنجيل والعلم (دار المعارف بمصر) ص٧٠ .

الأربعة التي تؤكد تاريخيتها دون أي تردد تنقل بشكل أمين فعلا أقوال وأفعال المسيح طيلة حياته بين البشر لخلاصهم الأبدي وإلى أن رفع إلى السماء ... إن الكُتَّاب الدينيين إذن يؤلفون الأناجيل الأربعة بشكل يسمح بإعطائنا دائما عن المسيح أمورا حقيقية ومخلصة [١] » .

وإذن فالنصارى قديما وحديثا يحاولون بشتى الطرق ومختلف الوسائل الاستدلال على الأمانة والصدق في نقل الأناجيل وكتابتها ، وقد نقلت من الأناجيل ما يؤكد رأيهم هذا ، كما ذكرت من أقوال علمائهم ودستورهم الكنسى ما يستندون إليه في هذه الدعوى .

ولنا وقفة مع هذا السند الأمين والنقل الصادق الذي تقول به الكنيسة ويؤمن به النصارى ، هذه الوقفة تتعلق بعدة أمور يلزم مناقشتها حتى يرى القارئ هل نقلت هذه الأناجيل نقلا أمينا عن سيدنا عيسى عليه السلام أم أنها بعيدة كل البعد عن الثقة والصدق والأمانة ؟ هذه الأمور هي:

١- المدة الزمنية التي كانت بعد نهاية عيسى على الأرض وكتابة الأناجيل.

٢- كتبة الأناجيل رسل مؤيدون من الله والروح القدس ، لهم معجزات باهرة .

٣- كل ما كتب في الأناجيل قائم على الوحي والإلهام الإلهي .

٤- كتبة الأناجيل كانوا مشاهدين ومعاينين لأقوال وأفعال المسيح بطريق مباشر أو غير مباشر.

هذه أربع قضايا مستنتجة من أقوال الأناجيل وآراء النصارى التي ذكرناها سابقا فما مدى صحة ما يقوله النصارى في هذه الأمور الأربعة ؟

فأما عن الفترة الزمنية فإن « أ . تريكو » حين ترجم العهد الجديد أكد في

---

(١) موريس بوكاى ، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص ٧٨ .

تعليقاته على هذه الترجمة أن أناجيل متى ومرقس ولوقا قد حررت قبل عام ٧٠م[١] ، وهو يقصد بهذا أن يقدم لنا كتبة الأناجيل على أنهم رسل كانوا مرافقين لمن كان مشاهدا ومعاينا لعيسى عليه السلام .

وهذا الرأي الذي يقوله «أ . تريكو» ليس قضية مسلمة ، لا من المسلمين وحدهم بل من الكتاب والمؤرخين النصرانيين أيضا ، ففي تعليقات الترجمة المسكونية للعهد الجديد يقرأ القارئ «أنه لا توجد على أي حال أي شهادة تقول بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية قبل عام ١٤٠م[٢] ، فمن أين لتريكو العلم بكتابة الأناجيل قبل عام ٧٠م ؟

ويرد موريس بوكاى على دعوى تحرير الأناجيل قبل عام ٧٠م بأن الدراسات التي تعود إلى العقود الأخيرة والتي تأسست على مكتشفات هذا العصر تسمح لنا بتحديد ظهور الأناجيل وأنه ما بين عام ٧٠م وحتى فترة تحدد قبل عام ١١٠م نتجت أناجيل مرقس ومتى ولوقا ويوحنا[٣] .

ومع التسليم بتحرير الأناجيل في هذه الفترة فإنها «لم تكن كلا واحدا إلا بعد أكثر من قرن من انتهاء بعثة المسيح ولم يتم هذا في وقت مبكر جدا كما يقال ، والترجمة المسكونية ترجع إلى عام ١٧٠م تقريبا التاريخ الذي اكتسبت فيه الأناجيل الأربعة صفة الأدب الكنسي[٤]» وأضيف إلى هذا أن هذه الأناجيل وإن كانت قد اكتسبت الصفة المذكورة في هذا الوقت فإنها لم تكتسب صفتها الرسمية والقدسية إلا في مجمع نيقية عام ٣٢٥م .

وحتى لو افترضنا جدلا صحة هذا الرأي الذي يقلل من الفترة الزمنية بين نهاية عيسى وكتابة الأناجيل ، إنه مع افتراض صحة هذا الرأي فإن الشك في صدق هذه

---

(١) المرجع السابق ص٧٦ .
(٢) موريس بوكاى ، القرآن والإنجيل والتوراة والعلم ص٧٥ .
(٣) المرجع السابق ص٧٣ .
(٤) المرجع السابق ص٧٦ .

الأناجيل وفى أمانة تحريرها ما يزال قائما إذ أن هذا التفاوت القائم بين هذه الأناجيل في الحجم والأحداث راجع في أهم أسبابه إلى الخطأ أو النسيان ، ولا شك أن لطول الفترة الزمنية دورا كبيرا في هذا الخطأ وذلك النسيان .

وإذن فمحاولة بعض كتاب النصارى إضفاء صفة الصدق والوثوق بالأناجيل الأربعة عن طريق تقريب الفترة الزمنية بين نهاية عيسى وتحرير الأناجيل هي محاولة فاشلة حيث لم تسلم من النقد والنقض .

وأما الادعاء بأن كتبة الأناجيل رسل مؤيدون من الله مملوؤون من الروح القدس ، لهم معجزات باهرة ، هذا الادعاء باطل تنقصه الحقيقة ويبطله الواقع ، إذ كيف يصح أن يقول عيسى بأن الحواريين رسل ثم بعد هذا يأتي أحدهم – وهو يهوذا – فيرشد اليهود على عيسى ويسلمه إليهم ؟ وكيف يكون يهوذا رسولا ثم يرتكب هذا الجرم الشنيع [١] ؟

وكيف يكون هؤلاء الحواريون رسلا وقد قال عيسى لبطرس أحد تلاميذه «اذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس [٢]» ؟ كيف يكون بطرس رسولا ويصفه عيسى بالشيطانية ؟ وكيف يكون بطرس رسولا ويكون معثرة لرسول الله عيسى المسيح ؟ وكيف يكون بطرس رسولا وهو لا يهتم بما لله ويكرس جهده واهتماماته بما للناس ؟

إن من قواعد دينكم أيها النصارى أن من أنكر عيسى في الدنيا ينكر أمام الملائكة يوم القيامة ، فقد جاء في إنجيل لوقا « ومن أنكرنى قدام الناس ينكر قدام

---

(١) جاء في متى « ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسه حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف ، وأما أسماء الاثنى عشر رسولا فهي هذه الأول سمعان الذي يقال له بطرس وأندرواس وأخوه ، يعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه فيلبس وبرثولماوس ، توما ومتّى العشار ، يعقوب بن حلفى ولباوس الملقب تداوس القانوى ويهوذا الاسخريوطى الذي أسلمه » (متى ١٠ : ١ – ٤) .

(٢) متى (١٦ : ٢١ – ٢٣)

ملائكة الله (لوقا ١٢ : ٩) .

ولقد ذكرت أناجيلكم أن بولس أنكر عيسى أمام شر الناس وأفسدهم ، وهذا ما جاء في لوقا « فقال أقول لك يا بطرس لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات أنك تعرفني » (لوقا ٢٢ : ٣٤) ، وجاء هذا الإنكار مفصلا في مرقس ومتى (مرقس ١٤ : ٦٦ – ٧٢) (متى ٢٦ : ٦٩ – ٧٥) . وحيث أنكر بطرس عيسى أمام الناس فإنه ينكر أمام ملائكة الله ؟ وكيف ينكر أمام ملائكة الله من هو رسول الله قد امتلأ من الروح القدس وأعطى قوة من الأعالي وكان يتحدث بإلهام من الله تعالى [١] ؟

إنه لكي يكون هؤلاء رسلا بحق فهذا لابد فيه من « أن يدعوا هم هذه الرسالة ويثبتوها بمعجزة يجريها الله على أيديهم ويتحدوا الناس ليدفعوهم إلى الإذعان أو ليسجلوا عليهم الكفر بعد أن يقوم الدليل عليهم ، إننا نبحث في مراجعهم فلا نجد مرجعا صحيحا قرر أن هؤلاء قد ادعوا مثل هذه الرسالة ودعوا الناس إلى الإيمان بها ومعهم البرهان عليها والدليل القائم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه [٢] » .

وفى هذا الصدد نستانس برأي الدكتور أحمد شلبى الذي يقول فيه :

« الرسول لابد أن يشيع أمره وأن تكون له معجزات ، ولكن أكثر هؤلاء الرسل[٣] الذين يبلغ عددهم مائة وعشرين غير معروفين إطلاقا ، والقليلون منهم يعرفهم خاصة المسيحيين فقط ولم ينسب لأكثرهم معجزات قط وقد نسب إلى قليلين منهم بعض خوارق ولكنها نسبة لا يوجد عليها دليل ثابت ، وعلى فرض صحتها فإنها ليست أكثر من أن تكون ... نوعا من التكريم الذي يمنحه الله لبعض

---

(١) لا يقال إن التقية في مثل هذه الأمور واجبة لأنها إن كانت جائزة للبشر العاديين فإن مقام الرسول وتحمله للدعوة وواجباتها يوجب عليه ألا يخاف شيئا في سبيل الله وفى سبيل الدعوة والدفاع عن رسولها عيسى بن مريم .

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية (ط٣) ص ٨٦ .

(٣) لعله وصفهم بهذا الوصف باعتبار عقيدة النصارى فيهم لا باعتبار الحقيقة التي يعتقدها المسلمون .

الصالحين [١])) .

وجاء في كتاب ((الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام)) للقرطبى أن هؤلاء الحواريين ما كانوا أنبياء ولا معصومين عن الغلط ، وأن ما ادعوا من كراماتهم لم ينقل شيء منها على التواتر بل هي أخبار آحاد غير صحيحة ، ولو سلمنا بصحتها لما دلت على صدقهم في كل الأحوال وعلى نبوتهم لأنهم لم يدعوا النبوة لأنفسهم وإنما ادعوا التبليغ عن عيسى عليه السلام [٢])) .

ويرد أحد الكتاب النصرانيين على بنى جنسه في دعوى إثبات صفة الرسولية للحواريين فيقول: ((إن دعوى جوستين التي تصف كتاب الأناجيل بالرسل لم تعد مقبولة اليوم)) [٣] ، نعم هذه الدعوى لم تعد مقبولة اليوم إذ كيف يكون كتاب الأناجيل رسلا ملهمين من الله ومؤيدين بالروح القدس ثم نجد تضاربا في كتاباتهم هذه ؟ إن من السهل واليسير على أي قارئ أن يكتشف في الإنجيل الواحد أكثر من خطأ ، وأكثر من تضارب بين نصوصه .

وكيف يكون هؤلاء رسلا وقد أكد المفسرون للعهد الجديد والمؤرخون أن بالأناجيل آيات إلحاقية كثيرة ، وتعديلات في نصوص هذه الأناجيل [٤] ؟

وكيف يكون هؤلاء رسلا وكتبهم مليئة بالأغاليط وتحريف الكلم عن مواضعه ، يقول لاردنر في ص١٢٤ من المجلد الخامس من تفسيره ،، حكم على الأناجيل المقدسة لأجل جهالة مصنفيها بأنها ليست حسنة بأمر السلطان أنا سطيثوس في

---

(١) د. أحمد شلبى ، المسيحية ، (ط٧) ص٢٢٥ .
(٢) نقلا عن رحمة الله الهندي ، إظهار الحق ، ج١ ص٣١٠ .
(٣) موريس بوكاى ، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ص٧٦ .
(٤) سيتضح هذا الأمر بالأدلة فيما بعد عند الحديث على متن الأناجيل ونصوصها .

الأيام التي كان فيها مسالة حاكما في القسطنطينية فصححت مرة أخرى [١] » .

إنه لو كانت هذه الأناجيل وحيا وإلهاما نازلا على رسل حقا وصدقا لكانت هذه الكتب خالية من الأغاليط والأخطاء والتضارب والتناقض والنقص والزيادة لأن الوحي لا يخطئ ، والرسول الحق لا يكذب ، ولا يزيد ولا ينقص في وحى الله أبدا.

وإذا لم يكن كتبة الأناجيل رسلا لم يصح أن يقال إنهم كتبوا ما كتبوه بإلهام من الله وعن طريق الوحي الإلهي وبتأييد من الروح القدس.

إن قضية الإلهام هذه قضية مشكوك فيها حتى من أهل الأناجيل أنفسهم ، فقدامى النصارى وجمهور علمائهم المتأخرين يقولون إن إنجيل متى كان باللسان العبراني ولكنه فقد والموجود الآن ترجمته ، والترجمة لا تكون إلهامية ولا نصا مقدسا .

وهذا هو إنجيل يوحنا يراه المحقق برطشنيدر وغيره ليس إلهاميا [٢] ، فإذا كان هذان الإنجيلان ليسا إلهاميين ومتى ويوحنا من حوارى عيسى وتلاميذه المباشرين فمن باب أولى أن لا يكون إنجيل مرقس ولوقا إلهاميين وبخاصة إنجيل لوقا الذي جاء في أوله « إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة فقد رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي [٣] » فلوقا قد حكم على ما سبقه من كتابات بأنه قصة ، وما كان قصة لم يكن إلهاما لأن الخيال يلعب في القصص دورا كبيرا يبعد به عن الحقيقة من جميع جوانبها [٤].

---

(١) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق ج١ ص٤٥٠ .

(٢) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق ج١ ص٢٧٦ .

(٣) لوقا (١ : ١ – ٣).

(٤) قد يقال إن هذا الحكم صادق على القرآن أيضا لأن فيه قصصا كثيرا ، إذا قيل ذلك : قلنا إن هذه القصص أخبر الله بها رسوله محمدا الذي لم يكن قارئا ولا كاتبا وحيث ثبت أن القرآن وحى إلهي – وهذا سأقوم به في بحث آخر – ثبت صدق ما فيه وبراءته من الخيال الذي تضيع معه الحقائق .

وفى دائرة المعارف الريطانية جاء قول مؤلفيها « قد وقع النزاع في أن كل قول مندرج في الكتب المقدسة هل هو إلهامى أم لا ؟ وكذا كل حال من الحالات المندرجة فيها فقال جيروم وكرتيس وأرازمس وبركويس والكثيرون الآخرون من العلماء » إنه ليس كل قول فيها إلهاميا ، كما جاء في هذه الدائرة أيضا « إن الذين قالوا إن كل قول مندرج فيها إلهامي لا يقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة [١] » .

وكتب رايس كتابا اشترك معه في تأليفه جماعة من العلماء المحققين ، هذا الكتاب جاء فيه : « ولا نجد مكتوبا صريحا في موضع أن الحالات العامة التي أدركها الحواريون بتجاربهم وأدرك لوقا بتحقيقاته إلهامية » [٢] .

والحقيقة التي نستنتجها من كتابات المؤرخين للأناجيل أنه مرت فترة زمنية بعد نهاية عيسى كانت أقواله عليه السلام وأفعاله تحكى حكايات شفهية يأخذها الناس من الحواريين ويتناقلونها فيما بينهم كأي قصة عجيبة تحكى ، ثم عمد الحواريون إلى هذه الأفعال والأقوال الشفهية فصاغوها صياغات خضعت لظروف وأحوال كان لها تأثيرها في الصيغ الأخيرة لهذه الأناجيل ، وهذه الصورة تنفى أن تكون الأناجيل مكتوبة بالإلهام ، يقول « أ . كولمان » في كتابه « العهد الجديد » إن المبشرين [٣] لم يكونوا إلا متحدثين باسم الجماعة المسيحية الأولى التي ثبتت التراث الشفهي ، فقد بقى الإنجيل طيلة ثلاثين أو أربعين سنة في شكله الشفهي فقط أو بالكاد ، ولكن التراث الشفهي قد نقل أساسا أقوالا وروايات منعزلة ، وقد نسج المبشرون – كل على طريقته وبحسب شخصيته الخاصة واهتماماته الخاصة – الروابط بين هذه الروايات والأقوال التي تلقوها من التراث السائد ، إن تجميع أقوال المسيح وربط

---

(١) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق ج١ ص٢٧٨ / ٢٧٩ .
(٢) المرجع السابق ج١ ص٢٨١.
(٣) كلمة المبشرين يقصد بها في المفهوم النصراني « الإنجيليون » أي الذين يبشرون بالأناجيل.

الروايات بصيغ أسلوبية غامضة مثل « وبعد هذا» « وما إن » إلخ ، وبالاختصار إطار الأناجيل المتوافقة[١]... أدبي الطابع وليس له أساس تاريخي. . ويجب ملاحظة أن احتياجات التبشير والتعليم والممارسة الدينية هي التي دعت الجامعة الأولى إلى تثبيت هذا التراث عن حياة المسيح بأكثر من اهتمامها بتسجيل حياة المسيح »[٢].

فإذا كانت الأناجيل في أصلها أقوالا وروايات منفصلة عن بعضها البعض وتحتاج إلى الرابط الذي يربطها ويجمع شتاتها ، إذا كانت هكذا انتفت عنها صفة الإلهام ولم تكن وحيا إلهيا لأن الوحي الإلهي يكون كلا كاملا ، والكلام الذي يحتاج إلى صناعة بشرية وليس له أساس تاريخي لا يكون وحيا ولا إلهاما من الروح القدس .

ولعله ولهذا السبب – وهو أن الأناجيل ليست وحيا ولا إلهاما – دعا أحد أبناء الكنيسة [٣] إلى أنه « لا يجب الأخذ بحرفية الأناجيل فهي كتابات ظرفية وخصامية حدد محرروها كتابة تراث جماعاتهم عن المسيح [٤] ».

والحق أنه إذا كانت الأناجيل قد كتبت لظروف معينة وتحت عوامل الخلاف والخصومة التي كانت سائدة بين فرق النصارى المتعددة لم تكن وحيا إلهيا ولا إلهاما ربانيا ولا علاقة للروح القدس بهذه الخلافات والخصومات ، وكل ما في الأمر أنها فكر شخصي خاضع للصدق والكذب والأمانة والخيانة .

والتعليقات المكتوبة على الترجمة المسكونية للعهد الجديد تؤكد أن الأناجيل عبارة عن نصوص « تتكيف مع مختلف الأوساط وتستجيب لاحتياجات الكنائس وتعبر عن فكر ما عن الكتاب المقدس وتعدل من الأخطاء بل ترد بهذا على حجج

---

(١) أي أناجيل مرقس ومتى ولوقا .
(٢) موريس بوكاى ، القرآن ص٧٦ / ٧٧ .
(٣) هو الأب كانينحسر الأستاذ بالمعهد الكاثوليكى بباريس .
(٤) موريس بوكاى ، القرآن ص٨٧ .

الخصوم ، وبهذا جمع المبشرون وحرروا كل حسب وجهة نظره الخاصة ما أعطاهم إياه التراث الشفهي[١] » .

فهذه النصوص التي تتكيف حسب الظروف والأحوال ، وتعدل أخطاؤها لا يمكن أبدا أن تكون وحيا إلهاميا ولا نصا مقدسا من المولى عز وجل .

وأخيرا نأتي إلى آخر النقاط الأربع التي يرتكز عليها النصارى لإثبات الصدق في كتابة الأناجيل والأمانة في نقلها ، هذه النقطة هي:

أن كتبة الأناجيل كانوا مشاهدين ومعاينين لأقوال وأفعال المسيح عليه السلام فغالبية النصارى تعتقد أن كتاب الأناجيل شهود عيان على حياة المسيح وأنهم بهذا قد أقاموا شهادات لا تقبل الجدل عن الأحداث التي وقعت في حياته عليه السلام وتبشيره بدعوته ، ومن هنا فهؤلاء النصارى يتعجبون من شأن المؤمن الذي يناقش المعلومات التي اشتملت عليها الأناجيل مع وجود مثل هذه الضمانات القوية الصحيحة[٢] .

والحق أن هذه الدعوى باطلة ولا دليل عليها ، ولا حجة تؤيدها ، وإنما هي من اختلاق هؤلاء الذين يريدون إكساب الأناجيل صفة القدسية والصدق والوثوق بحجة أنها جاءت عمن كانوا مع المسيح وشاهدوه في كل أقواله وأفعاله .

وبادئ ذي بدء نقول: إن كتبة الأناجيل الأربعة فيهم من شاهد عيسى والتقى به ومنهم من لم يره ولم يشاهده أبدا ، وهذا على افتراض أنهم حقا الذين كتبوا هذه الأناجيل .

نعم إن متى ويوحنا كانا تلميذين لعيسى عليه السلام ، فشاهداه والتقيا به ، ولكن مرقس ولوقا لم يريا المسيح ولم يشاهدا أحواله وأفعاله .

---

(١) موريس بوكاى ، القرآن ص٧٨ .
(٢) المرجع السابق ص٧٠ .

ولكن من هو متى ؟ ومن هو يوحنا ؟ هل متى ويوحنا الموضوع اسميهما على الإنجيلين المسميان باسمهما هما متى ويوحنا الحواريان ؟. إن الإجابة على هذه الأسئلة متباينة متناقضة ، فمن الكتاب والمؤرخين النصرانيين من يؤكد أن هذين الإنجيلين – إنجيل متّى ويوحنا – هما لمتى ويوحنا الحواريين ، ومن الكتاب والمؤرخين النصرانيين من ينفى نسبة هذين الإنجيلين إلى هذين الحواريين .

فالفريق الأول على رأسه القسيس فندر ـ الذي تجادل مع رحمة الله الهندي ـ والكاتب الديني « أ . تريكو » وآباء الكنيسة مثل جوريجين وجيروم وأبيغان ، هؤلاء يعتقدون أن كتبة الأناجيل كانوا مشاهدين ومعاينين لجميع أحوال عيسى عليه السلام ، يقول « فندر » : في كتابه « ميزان الحق » : « لا يخفى أن معجزات المسيح حررها الحواريون الذين كانوا كل وقت مع المسيح ورأوها بأعينهم »[1] ويقول «أ. تريكو» في تعليقه على ترجمة العهد الجديد المنشورة عام ١٩٦٠ م عن متى « اسمه متى ، واسمه قبل ذلك ليفي ، وكان عشارا أو جابيا بمكتب الجمارك أو ضرائب المرور بكفر ناحوم عندما دعاه المسيح ليجعل منه أحد تلامذته »[2].

وقد سبق أن ذكرت نص وثيقة الفاتيكان التي تؤكد أن الأناجيل شهادة حقيقية على حياة المسيح وأن كتبة الأناجيل قد نقلوا لكل نصراني أنفسهم والناس الذين كانوا يحيطون بهم وبتأثير من الوحي الإلهي للروح كتابات هي أساس الإيمان ، هذه الكتابات التي تسمى اليوم بالإنجيل المربع : إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا .

أما الفريق الثاني فمع اعترافه بأن متى ويوحنا كانا تلميذين لعيسى وكانا مرافقين له ومشاهدين لكل أقواله وأفعاله إلا أن هذا ليس سببا كافيا لأن نقول إن هذين الإنجيلين المسميين باسم متى ويوحنا هما حقا من تحريرهما وأنهما الشهادة الحقيقية الصادقة لأقوال عيسى وأفعاله .

إننا إذا دققنا النظر وحققنا في أمر هذه الأناجيل الأربعة فإننا سنكتشف البعد

---

(١) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق جـ١ ص٦٢.

(٢) المرجع السابق ص ٨١ .

الحقيقي بينها وبين حياة المسيح الحقيقية ، كما سيتبين لكل ذى عقل بعيد عن التعصب أن نسبة هذه الأناجيل إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا نسبة خاطئة لأن هذه الأناجيل ـ في حقيقة الأمر ـ من وضع أناس آخرين ثم نسبت إلى الأسماء المكتوبة عليها تمويها واستدراجا ولتكون أدعى للقبول من الناس ، ولكي نعرف حقيقة هذه الأناجيل فهذه صورة واضحة عن الأناجيل الأربعة يتبين منها حقيقة المتابعة والمشاهدة لأقوال المسيح وأفعاله التي تدعيها الكنيسة ويتشدق بها عامة النصارى والقائمون على تضليل العامة من أقوامهم .

القول الحق في سند الأناجيل

أ- إنجيل متى

نعم إن متى حواري وتلميذ عيسى ، ولعله قد كتب إنجيلا ، ولكن هل بقى إنجيل متى كما هو ؟ إن العلماء المحققين أكدوا أن الإنجيل المتداول في الكنيسة النصرانية اليوم باسم متى ليس هو الإنجيل الذي حرره متى حواري عيسى وتلميذه.

وكيف يكون الإنجيل المتداول الآن باسم متى هو إنجيل متى الحواري وشخصية متى ذاتها مجهولة غير معروفة ؟

وهل تأكد هؤلاء الذين ينسبون إنجيل متى إلى الحواري ، هل تأكدوا أنه هو مؤلف هذا الإنجيل ؟

إن ول ديورانت يذكر أن النقاد ينكرون نسبة هذا الإنجيل إلى متى الحواري ، وينسبونه إلى أحد أتباعه الذي وضع عليه اسم متى تلميذ عيسى وشاهدوا أحواله[١] .

ولعله مما يؤكد هذا الرأي ما ذكره «أ . كولمان » من أن متى قد استخدم بشكل واسع إنجيل مرقس الذي لم يكنأحد حواريي عيسى [٢] ، والعقل يستبعد أن يقتبس

---

(١) ول ديورانت ، قصة الحضارة جـ ١١ (الجزء الثالث من المجلد الثالث) ص٢٠٨ .
(٢) موريس بوكاى ، القرآن الكريم ص٨٢ .

من كان معاينا ومشاهدا لأحوال عيسى ممن لم يكن مشاهدا للمسيح .

وينفى أحد علماء فرقة مانى كيز – وهو فاستس – في القرن الرابع أن يكون إنجيل متى من وضع حواري عيسى فقال « إن هذا الإنجيل المنسوب إلى متى ليس من تصنيفه ، والبروفسر الجرمنى قال إن هذا الإنجيل كله كاذب[١] .

ويؤكد رحمة الله الهندي أن الإنجيل المنسوب إلى متى ليس من تأليف متى الحواري إذ لو كان هو مؤلف « هذا الإنجيل لظهر من كلامه في موضع من المواضع أنه يكتب الأحوال التي رآها وتعبر عن نفسه بصيغة المتكلم كما جرت به العادة سلفا وخلفا ، وهذه العادة ما كانت مهجورة في عهد الحواريين أيضا »[٢] .

والنصرانيون قديما وحديثا مختلفون في اللغة التي كتب بها هذه الإنجيل المنسوب إلى متى ، فأكثر المفسرين للأناجيل يرون أنه كتب باللغة العبرية ثم ترجم إلى اللغة اليونانية ، ولكن هناك من يزعم أن متى كتب إنجيله باللغة اليونانية ، جاء في تفسير « دوالى ورجردمينت » المطبوع في لندن سنة ١٨٤٨م قوله « وقع اختلاف عظيم في الزمان أن هذا الإنجيل كتب بأي لسان لكن صرح كثير من العلماء أن متى كتب إنجيله باللسان العبراني الذي كان لسان أهل فلسطين »[٣] .

وتؤكد دائرة المعارف البريطانية أن جميع كتب العهد الجديد كتبت باللغة اليونانية ما عدا إنجيل متى والرسالة العبرانية حيث كتبا باللغة العبرانية[٤] .

ويكاد يجمع الكتاب والمؤرخون على أن إنجيل متى كتب باللغة العبرية ما عدا القسيس « فندر » فإنه يرجح الرأي الذي يقول بأن هذا الإنجيل كتب باللغة اليونانية ، يقول هذا القسيس في كتابه « حل الإشكال » نعم ظن بعض العلماء في

---

(١) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق ، جـ ١ ص ٤٣٠ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٢٩.
(٣) المرجع السابق ص ٤٢٦.
(٤) المرجع السابق ص ٤٢٤ .

حق إنجيل متى أنه لعله كان باللسان العبراني أو العرمائى ثم ترجم إلى اليونانية لكن الغالب «أن هذا أيضا كتبه متى الحواري باللسان اليوناني »[١] وقد قال بهذا الرأي – أيضا – ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة [٢] ، أما هورن فإنه يجمع بين الرأيين حيث قال «إن الغالب أن متى كتب إنجيله باللسانين العبراني واليوناني »[٣]

ونحن الآن أمام رأيين ، رأى يؤكد أن متى كتب إنجيله باللغة العبرية ، وهذا يؤكده جمع كبير ، ورأى يُغَلِّب كتابة هذا الإنجيل باللغة اليونانية ، والتأكيد مقدم على التغليب ، والجمع الكثير مقدم على الآحاد ، وعلى ذلك فالرأي الراجح عندي – وليس المؤكد – أن إنجيل متى كتب باللغة العبرية ثم ترجم إلى اليونانية .

وحينئذ نسأل : من الذى قام بترجمة هذا الإنجيل من لغته الأصلية إلى اللغة اليونانية ؟ هل هو يوحنا كما قال ابن البطريق [٤] ؟ هذا فيه شك ولا يمكن الأخذ بهذا القول وتصديقة لأن جميع المؤرخين ـ الآخرين ـ للنصرانية والمفسرين للأناجيل قد أجمعوا على أن مترجم إنجيل متى شخصية غير معروفة ، وجميع المصادر النصرانية لم تذكر اسم هذا المترجم ولا جنسيته .

ولو تغاضينا عن معرفة اسم هذا المترجم فلا يسعنا التغاضى عن أسئلة كثيرة تلح على أي باحث عن الحقيقة ، ففي أي سنة تُرْجِمَ هذا الإنجيل ؟ وأين النسخة الأصلية حتى يمكن مراجعة الترجمة عليها ؟ وكيف نعرف أمانة وصدق هذا المترجم الذي لا تعرف شخصيته ولا ميوله ولا أهدافه ؟ وهل كان عالما بارعا في اللغة المترجم منها وإليها هذا الإنجيل ؟ وهل كان ثقة في الديانة النصرانية ؟ أم أنه كان

---

(١) المرجع السابق ص ٦٦ .
(٢) ج١١ ص٢٠٧ .
(٣) رحمة الله الهندى ، إظهار الحق ج١ ص٤٢٩ .
(٤) سعيد بن البطريق (أفتيشيوس) كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق (بيروت / مطبعة الآباء اليسوعيين / سنة ١٩٠٥م) ص٩٤ .

من اليهود الحاقدين المغرضين الذين ادعوا الإيمان بهذا الدين الجديد من أجل هدمه من الداخل ؟

قضية أخرى تتعلق بإنجيل متّى تزيده غموضا وخفاء ، هذا الإنجيل هل كتب بأرض فلسطين أم بأرض اليونان أم بأرض غير هذه وهذه ؟ إن المعلقين على الترجمة المسكونية للعهد الجديد لم يستطيعوا الوصول إلى رأى محدد في هذا الأمر وترددوا بين أن يكون قد كتب بسوريا أو بإنطاكية أو بفينيقيا بل ربما قد كتب بالإسكندرية كما أشار إلى هذا « أ. كولمان » [١] .

وإذا كنا لم نهتد إلى شخصية كاتب إنجيل متّى أو مترجمه ، ولم نستطع معرفة اللغة التي كتب بها هذا الإنجيل معرفة أكيدة لا شك فيها ، ولم نصل إلى الموطن الذي كتب فيه هذا الإنجيل ، فإننا أيضا لن نستطيع الوصول إلى معرفة التاريخ الذي كتب فيه هذا الإنجيل لأن رأى النصارى فيه مضطرب ، ومن هنا قال هورن في تفسيره المطبوع عام ١٨١٢م : « الحالات التي وصلت إلينا في باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة ناقصة وغير معينة لا توصلنا إلى أمر معين ، والمشايخ القدماء الأولون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها ، وقبل الذين جاؤوا من بعدهم مكتوبهم تعظيما لهم . . (وقد) أُلِّفَ الإنجيل الأول في سنة ٣٧م ،أو ٣٨م ، أو ٤١ أو ٤٣ أو ٤٨ أو ٦١ أو ٦٢أو ٦٣ أو ٦٤ م [٢] .

وأما ول ديورانت فيرجع بتاريخ إنجيل متى إلى مابين عامي ٨٥م ـ ٩٠م وهو ـ كما يرى – ليس أول الأناجيل ـ إذ أن أولها إنجيل مرقس الذي قال إنه ألف مابين ٦٥م – ٧٠م – وإنما ترتيبه الثاني بين الأناجيل [٣] .

---

(١) موريس بوكاى ، القرآن الكريم ص٨١ .
(٢) رحمة الله ، إظهار الحق جـ ١ ص ١٣٥ .
(٣) ول ديورانت ، قصة الحضارة ج١١ ص٢٠٨ .

وأخيرا فإن كتابا بمثل هذه المشاكل لا يعقل أبدا أن يكون من وضع تلميذ عاصر عيسى وعاش معه وعاين أقواله وأفعاله إذ «لا شك أن جهل تاريخ التدوين وجهل النسخة الأصلية التي كانت بالعبرية وجهل المترجم وحاله من صلاح أو غيره وعلم بالدين واللغتين التي ترجم عنها والتي ترجم إليها ، كل هذا يؤدى إلى فقد حلقات في البحث العلمي [١]» .

وإن كتابا بهذه المثابة غموضا وجهالة لا يمكن لأحد أن يصدق بأنه كتاب مقدس ، ولا يمكن لأحد أن يعتقد بأن كاتبه كتبه بإلهام من الله تعالى ، ولا يستطيع أحد أن يقتنع بأن كاتبه مملوء من الروح القدس ، إذ لو كان وحيا من الله تعالى لحافظ عليه النصارى قديما وحديثا ولعرفوا كل صغيرة وكبيرة عنه ولتناقلت النصارى هذه المعرفة جيلا بعد جيل ولم تضل فيه هذا الضلال البعيد .

والحقيقة التي اعترف بها كثير من المؤرخين والمفسرين للأناجيل أن النسخة الأصلية لإنجيل متى قد فُقِدَتْ ووُضِعَ مكانها نسخة زُيِّنَتْ باسم متى حتى يكون هذا الإنجيل محل القبول والرضا من الناس ، قال جامعو تفسير هنرى وإسكات : «سبب فقدان النسخة الأصلية العبرانية أن الفرقة الأبيونية التي كانت تنكر ألوهية المسيح حرفت هذه النسخة وضاعت بعد فتنة بورشالم ، وقال البعض أن الناصريين أو اليهود الذين دخلوا في الملة المسيحية حرفوا الإنجيل ، وأخرجت الفرقة الأبيونية فقرات كثيرة منه [٢]» .

وأيا ما كان الأمر ، وأيا ما كان هذا الذي حَرَّفَ النسخة الأصلية ، فالمهم في القضية أن النسخة الأصلية قد فقدت ، والنسخة الحالية ليست هي الأصل ، فكيف يدعى النصارى أن إنجيل متى كتبه رسول بإلهام من الله وامتلاء من الروح القدس؟

---

(١) أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية (ط٣) ص٤٨ .
(٢) رحمة الله الهندى ، إظهار الحق ج١ ص٢٤٧ .

ب- إنجيل مرقس

يحاول النصارى دائما إضفاء صفة الحوارية والمشاهدة والمتابعة على كتاب الأناجيل لإكساب هذه الأناجيل قدسية دينية ليكون هذا أدعى لتمسك الناس بها.

وهذا واحد منهم ، إنه إنجيل مرقس الذي اضطربت الأقوال فيه اضطرابا كبيرا ، فمن هو كاتبه ؟ هل هو من الحواريين أم لا ؟ هل هو تلميذ لعيسى أم لبطرس ؟ لقد اختلفت النصارى في هذا ما بين متطرف ذات اليمين وذات الشمال إلى متوسط بين الفريقين.

فهذا فريق يدعى أن مرقس كان تلميذا لعيسى أو أنه كان واحدا من السبعين رسولا – هكذا عند النصارى – الذين أرسلهم عيسى مبشرين بالدين الجديد في المدن التي يزمع عيسى الذهاب إليها.

وذاك فريق آخر يرى أن مرقس هذا ليس من الحواريين الاثنى عشر وليس من السبعين ولا من المائة والعشرين الذين خطب فيهم بطرس وإنما هو شخص مغمور من عامة الناس.

وهذا فريق ثالث يتوسط في القضية فيجعل من مرقس تلميذا لبطرس الذي كان تلميذا لعيسى عليه السلام ، ويضيف هذا الفريق ميزة أخرى إلى مرقس هذا هي أنه صحب بولس الرسول – كما يعتقدون – في رحلته التبشيرية الأولى .

فهل صحيح أن مرقس كان تلميذا لعيسى؟ وما دليل القائل بهذه الدعوى؟ لقد زعم النصارى أن مرقس كان من تلاميذ عيسى ، فهو قد شاهده وعاين أحواله ، وهو الذي كان يحاول دائما أن يتبع السيد المسيح طلبا للمعرفة واستزادة من معاينة أفعال وأحوال السيد المسيح .

وهذا الفريق يستند في دعواه على استنتاج الحقائق من أمور ظنية لم تثبت صحتها بعد ، فهو يستند في دعواه على أن متى ولوقا آخذان عن مرقس ومتأثران بأفكاره ، وفى هذا دلالة على أن مرقس كان تلميذا لعيسى وإلا لما أخذا عنه وبخاصة متى الذي كان أحد تلاميذ عيسى ، ويعرض « أ. كولمان » صاحب كتاب

« العهد الجديد » هذه الدعوى ودليلها في جملة قصيرة فيقول « متى ولوقا لم يكونا ليستخدما هذا الإنجيل مثلما فعلا لو كانا لا يعرفان أنه مؤسس فعلا على تعاليم أحد الحواريين »[١].

والمعلقون على الترجمة المسكونية للعهد الجديد قد قالوا أيضا بهذا الرأي ولكن بدليل آخر غير الدليل السابق إذ يرون أنه « بحجة أن مرقس هو المبشر الوحيد الذي سرد في روايته عن آلام المسيح حادثة شاب كان يلبس إزارا على عريه وترك الإزار وهرب عريانا عندما شرع في الإمساك به » ، استنتج البعض أن هذا الشاب ليس إلا مرقس « التلميذ الأمين الذي يحاول أن يتبع السيد »[٢].

ولكن هذا الاستنتاج لا قيمة له لأنه قائم على حجتين واهيتين يمكن نقضهما ، والدليلان ليسا بحجة قوية تسمح بالاستناد إليهما في تقرير كتاب وإثبات معتقد ديني عقدي .

فأما عن الحجة الأولى ـ حجة الاقتباس ـ فهل ثبت ثبوتا قطعيا أن إنجيل متى من وضع متى الحواري حتى نرتب عليه قضايا ونستنتج منها النتائج؟ إن هذا الفريق قد أقام قضية واستخرج منها نتيجة على فرضية لم تثبت صحتها بعد ، وهي حتى الآن ما زالت في دائرة الشك ، بل الأقرب إلى الصدق أن هذا الإنجيل ـ متى ـ لا علاقة لمتى الحواري به ، وقد سبق أن ذكرت الآراء والشكوك والافتراضات التي قيلت عن إنجيل متى بما يؤكد أن هذا الإنجيل المنسوب إلى متى الحواري ليس من وضع تلميذ عيسى وإنما قد يكون من وضع متى آخر لم يشاهد ولم يعاين عيسى عليه السلام .

وأرى أن استخدام متى لإنجيل مرقس وتأثره به دليل قوى على أن متى الموضوع اسمه على الإنجيل الأول ليس متى الحواري إذ ليس يعقل أن الحواري الذي قالت مؤلفاتكم الإنجيلية أنه كان تلميذا لعيسى ومشاهدا لجميع أحواله يأخذ

---

(١) موريس بوكاى ، القرآن الكريم ، ص٨٤ .
(٢) المرجع السابق ص٨٤ .

عن شخص آخر أثبتم له التلمذة لعيسى دون ذكر هذا في كتبكم متصفا بهذه الصفة ـ صفة التلمذة لعيسى ـ وعليه فإن هذا الاستدلال ساقط من أساسه.

على أنه بمقدور أي قارئ مراجعة أسماء الحواريين الاثنى عشر في الأناجيل وحينئذ لن تقع عيناه على اسم مرقس ضمن هؤلاء الحواريين الاثنى عشر .

إن هذه الحجة ـ وكما يرى موريس بوكاى «حجة غير حاسمة »[1] نعم إنها حجة غير حاسمة لأن الاقتباس وحده لا يكفى في إثبات أن مرقس كان تلميذا لعيسى ، على أن الصيغة النهائية للأناجيل ـ حسب نظرية الأبوين بينوا ويومار التي سنتحدث عنها فيما بعد ـ تثبت أن مرقس آخذ عن متى ولوقا ، فهل هذا الاقتباس يستدعى أن نقول : إن مرقس كان تلميذا للوقا ؟ أما ادعاء هذا البعض أن مرقس كان تلميذا لعيسى مستدلا بالاستنتاج الذي ذكرته الترجمة المسكونية فهذا أيضا استنتاج ضعيف جدا ، بل هو استنتاج واه ، فمن أين لهؤلاء أن هذا الشاب العاري هو مرقس بعينه ؟ هل عندهم دليل صحيح يثبت هذه التلمذة ؟ هل عندهم كتاب ديني ينص صراحة على اسم مرقس كتلميذ لعيسى دون اللجوء إلى الاستنتاج والمضامين الخفية المحتملة للصدق والكذب ؟ إنهم لم ولن يستطيعوا أن يأتوا بهذا النص لأنه غير موجود ، وهذا يؤكد أن النصارى تفتعل السبل والوسائل من أجل وضع مرقس في مصاف الحواريين المشاهدين لعيسى وذلك ليلبسوا أناجيلهم قدسية وثقة وأمانة في النقل ولكن هيهات هيهات .

وإذا كان هذا الفريق قد نظر إلى قصة الشاب العريان من زاوية تناصره في دعواه فإني أنظر إلى هذه القصة من زاوية أخرى تبطل دعوى هذا الفريق ، فإن عدم ورود هذه القصة – قصة الشاب العريان – في إنجيل متى ويوحنا – المدعى أنهما رسولان – يدل على أن مرقس ليس تلميذا لعيسى وأنه اخترع هذه القصة من

---

(١) موريس بوكاى ، القرآن الكريم ص٨٤ .

خياله فقط ، وإلا لكانت قد ذكرت في كل من الإنجيلين لأن صاحبيهما كانا تلميذين لعيسى ومشاهدين لجميع أحواله .

وهذه القصة التي يستدل بها هذا الفريق ما هي إلا تفاصيل وهمية ينظر إليها المخدوعون على أنها معلومات صحيحة ذات قيمة في إثبات العقيدة في حين أنها قصة الغالب عليها أنها من صنع الخيال ولا علاقة لها بالحقائق التاريخية التي كانت في حياة عيسى وارتبطت بدعوته إلى الدين الجديد .

ولعله من أقوى الردود على هذا الفريق الذي يدعى أن مرقس كان تلميذا لعيسى هو التصريح الذي جاء على لسان أحد القسس وهو القس « فندر » في كتابه « حل الإشكال » « إن الإنجيل الثاني والثالث يعنى إنجيلي مرقس ولوقا ليسا من الحواريين » [١] .

فإن قال قائل إن مرقس كان تلميذا لعيسى باعتباره أحد السبعين الذين أرسلهم عيسى ليبشروا بنى إسرائيل بالدين الجديد [٢] حيث جاء في إنجيل لوقا « عين الرب سبعين آخرين أيضا وأرسلهم اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعا أن يأتي » [٣] ، فهذا نقول له: إن رأيك هذا لا سند له إذ ليس هناك إنجيل من الأناجيل أو رسالة من الرسائل قد نصت على أسماء هؤلاء السبعين وذكرت منهم مرقس صاحب الإنجيل المسمى باسمه حتى يصح القول بأن مرقس كان تلميذا لعيسى ، وكل ما في الأمر أن هذا احتمال فقط ، والاحتمال صنو الظن لا يثبت بهما دين ولا عقيدة ولا كتاب مقدس كما يقولون .

---

(١) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق ج١ ص٦٦ .

(٢) أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية (ط ٣) ص٤٩ ، والدكتور أحمد شلبى ، المسيحية (ط ٧) ص٢٠٩ .

(٣) لوقا (١٠ – ١)

على أن هذا النص وارد في إنجيل لوقا وهو إنجيل فيه شك – كما سنرى فيما بعد – ولا تبنى العقائد على الشك وإنما على اليقين والتأكيد.

أما وليم باركلى [١] فيطلق رأيا يراه أقل شططا من سابقه فيعلن أن مرقس كان مصاحبا لبولس – الذي يراه النصارى رسولا – في رحلته التبشيرية الأولى ، ويضيف باركلى أن مرقس كان تلميذا لبطرس وقريبا منه ، وبسبب هذا الارتباط اقتبس مرقس آواء بطرس مما استدعى متى ولوقا أن يأخذا من مرقس منهجه وكثيرا من عباراته وألفاظه ، ولقد كان هذا الارتباط قويا بين مرقس وبطرس لدرجة أن بطرس كان يصف مرقس بأنه ابن له [٢] .

ولعل وليم باركلى يريد بهذه القرابة المفتعلة وهذا الارتباط المشكوك فيه من بعض المفكرين أن يذكر هؤلاء المنكرين للأناجيل بأن مرقس حين كتب إنجيله استعان واسترشد ببطرس ، وحيث إن بطرس كان رسولا ملهما – على رأى الكنيسة – فإن إنجيله حينئذ يكون مكتوبا بالإلهام ، ولا يصح لأحد أن يشك أو يشكك فيه .

والذى يهمنا من كلام باركلى هو أن مرقس ليس من الحواريين [٣] ، وأن مرقس حين عرف أحوال المسيح وكتبها إنما كان هذا عن طريق السماع فقط ونحن بدورنا نقول إن السماع من غير صاحب الحالة ذاته مظنة الزيادة والنقص والتحريف والتبديل إن لم يتحقق شرط التواتر في هذا السماع ، ومن المعلوم لدى القاصى والدانى أن الأناجيل ليس لها سند متواتر .

أما أن مرقس كان تلميذا لبطرس الحواري وأنه سلك منهجه وتأثر به فلما كتب إنجيله على نهج بطرس استحب هذا متى ولوقا فأخذا عن مرقس وتأثرا به ، هذا

---

(١) أستاذ العهد الجديد بجامعة جلاسجو وشارح إنجيل مرقس .
(٢) وليم باركلى ، تفسير العهد الجديد (إنجيل مرقس) ص١٢ / ١٣ .
(٣) وهذا يظهر من قراءة مقدمته على تفسير إنجيل مرقس وبخاصة ص١٤ .

الزعم ليس عليه دليل قوى ، وما استدل به باركلى على رأيه هذا لو كان صحيحا لكان الأولى أن يأخذ متى ولوقا عن المصدر الذى أخذ عنه مرقس وهو بطرس ويسترشدا برسالتيه المنسوبتين إليه وبخاصة أنه من الحواريين الاثنى عشر . كما أنه لا يلزم من توافق بعض المضامين بين إنجيلي متى ومرقس تحقق النقل والاقتباس وثبوت هذا ثبوتا أكيدا – وعليه يكون مرقس تلميذا لبطرس – وإلا للزم على هذا أننا حين نجد دعوة إلى الأخلاق الفاضلة في الأناجيل ولها نظير في حكم كونفشيوس أن نقول إن الأناجيل آخذة عن هذا الوثني الكافر.

على أن آخر ما توصلت إليه النظريات الحديثة حول مصادر الأناجيل أن مرقس آخذ عن [١] متى فهل نقول بمجرد هذا النقل إن مرقس كان تلميذا لمتى ؟

ولقد صرح وليم باركلى بأن مرقس كتب أنجيله بعد موت بطرس حيث قال: «فلدينا إذن سببان رئيسيان يعطيان إنجيل مرقس أهمية لا تفوقها أهمية ، أولها أنه أول كتاب كتب عن حياة يسوع إذ كتب بعد موت بطرس مباشرة حوالي ٦٥م » [٢] . وإذن فهذا الإنجيل عبارة عن مشاهدات حكاها مرقس عن بطرس عن حياة عيسى بعد نهاية عيسى بحوالي اثنتين وثلاثين سنة ، لكن من المؤكد – وطبقا لاعتراف باركلى هذا – أن بطرس لم يشاهد إنجيل مرقس .

والمفسرون والمؤرخون من النصارى – المحققون والمدققون – لا يجدون مستندا يمكن الركون إليه في دعوى العلاقة بين بطرس ومرقس ولذلك فإن لاردنر قال في تفسيره [٣] :

« إني أظن أن مرقس ما كتب إنجيله قبل سنة ٦٣ أو ٦٤ لأنه لا يتخيل وجه

---

(١) موريس بوكاى ، القرآن الكريم ص٩٧ .

(٢) وليم باركلى ، تفسير العهد الجديد (إنجيل مرقس) ص١٤ .

(٣) هذا التفسير طبع في لندن سنة ١٧١٧ في عشرة مجلدات (رحمة الله ، إظهار الحق) .

معقول لقيام بطرس في الروم قبل هذا ، وهذا التاريخ موافق للكاتب القديم أرينيوس الذي قال إن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس ، وقال باسينج موافقا لأرينيوس: إن مرقس كتب إنجيله في سنة ٦٦م بعد موت بطرس وبولس ، واستشهدا – على رأيه – في سنة ٦٥م » فظهر من كلام باسينج وأرينيوس أن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس ، فثبت أن بطرس ما رأى إنجيل مرقس يقينا ، ورواية رؤية بطرس هذا الإنجيل رواية ضعيفة لا يُعتد بها »[١].

ويؤيد هذا الرأي ما ذكره ابن البطريق في تاريخه من أن مرقس كان بالإسكندرية وبرقة في تسع سنين من ملك قلوديوس القيصر وأنه مكث هناك سبع سنين ، وفى أول سنة من ملك نارون قتل مرقس بالإسكندرية ، وهذا يعنى تاريخيا أن مرقس لم يخرج من الإسكندرية بعد أن دخلها في عهد قلوديوس إلى أن مات في أول سنة من ملك نارون القيصر ، في نفس هذا الوقت كان بطرس سجينا في عهد غاييوس القيصر ـ الذي كان قبل قلوديوس ـ ثم هرب بطرس إلى أنطاكية ومنها إلى روما وظل بروما إلى أن قتل في عهد نارون الذي كان بعد قلوديوس ، لقد كان أحدهما بروما والآخر بالإسكندرية إلى أن قتل مرقس بالإسكندرية [٢] ، فمتى التقيا ؟ ومتى رأى بطرس إنجيل مرقس ؟ .

ولسعيد ابن البطريق رأى في هذه القضية إذ يقول « وفى عصر نارون القيصر كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقص عن مرقس بالرومية في مدينة رومة ونسبه إلى مرقس »[٣] فهل الإنجيل الذي بأيدي النصارى اليوم هو إنجيل مرقس الأصلي الذي كتبه مرقس باليونانية ؟ أم أنه الصورة التي نسخها بطرس بالرومية بروما ؟ أم أنه ليس هناك إلا إنجيل واحد منسوب إلى مرقس هو هذا الذي كتبه

---

(١) رحمة الله الهندى ، إظهار الحق ج١ ص٣٣١ .
(٢) ابن البطريق ، كتاب التاريخ المجموع ، من ص ٩٤ ـ ٩٧ .
(٣) السابق ص٩٦ .

بطرس ؟

وهكذا نجد النصارى - قديما وحديثا - مختلفين في هذه القضية ، هل إنجيل مرقس من وضع مرقس أم بطرس؟ هل مرقس تلميذ لعيسى أم تلميذ لبطرس؟ أم أنه لا هذا ولا ذاك؟ وحتى عصرنا الحاضر مازالت القضية محل خلاف ولم - ولن- يحسم هذا الخلاف .

وثمة خلاف آخر دار حول هذا الإنجيل ، فبي أي سنة تمت كتابة إنجيل مرقس هذا ؟ المفسر « لاردنر » يرى أن إنجيل مرقس كتب في عام ٦٣م أو ٦٤م ، أما أرينيوس وباسينج فرأيهما أن هذا الإنجيل كتب سنة ٦٦م والمعلقون على الترجمة المسكونية للعهد الجديد يحددون تاريخ كتابة هذا الإنجيل في فترة ما بين ٦٥م – ٧٠م ويرون بهذا أنه لا يمكن تحديد سنة بعينها كتب فيها هذا الإنجيل.

وحكى « ول ديورانت » اتفاق النقاد على كتابة إنجيل مرقس في هذا التاريخ (٦٥-٧٠) وعلى أسبقية إنجيل مرقس في الزمن على سائر الأناجيل [١].

وأما المفسر هورن فيرى أن هذا الإنجيل ألف في سنة ٥٦ أو ما بعدها إلى سنة ٦٥م ولكنه يغلب أن يكون تأليف هذا الإنجيل في سنة ٦٠م أو سنة ٦٣م.

ولكن إذا تتبعنا السرد التاريخي عند ابن البطريق (من ص٩١ – ص٩٦) فإننا سنرى غير هذا كله ، ذلك أن سيدنا عيسى قد صلب – كما يرى النصارى – في السنة الثامنة عشرة من ملك طيباروس القيصر ، واستمر ملكه(أى ملك طيباروس) أربع سنين بعد الصلب ، ثم تولى بعده غاييوس أربع سنين (تقريبا) ، ثم تولى قلوديوس أربع عشرة سنة – فيكون مجموع السنين بعد الصلب اثنتان وعشرون سنة – ثم تولى نارون الملك وتم قتل مرقس في أول سنة من ملكه ، وهذا يعنى أن مرقس قتل ما

(١) ول ديورانت ، قصة الحضارة ج١١ ص٢٠٨ .

بين عامي ٥٥م ، ٥٦م ، فإذا كان هذا صحيحا كان هذا الإنجيل المنسوب إلى مرقس قد ألف بعد قتل مرقس ولا علاقة لمرقس بهذا الإنجيل اللهم إلا وضع اسمه عليه، أو لعله مرقس آخر غير الذي يدعونه .

حقا إنها دوامة!! ويكفينا أن نقول هنا إن إنجيلا اختلفت الآراء حوله هكذا لا يكون جديرا بالاستيثاق ، ولا يستحق أن يقال عنه إن فيه إلهاما وقدسية ، والصحيح فيه – وفى غيره من الأناجيل – أنها « أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال»[١] .

ج- إنجيل لوقا

هذا هو الإنجيل الثالث في سلسلة الأناجيل الأربعة ، وينسب هذا الإنجيل إلى لوقا الذي لم يزعم أحد أنه من تلاميذ عيسى كما حدث بشأن مرقس ولكن كما هي العادة عند أكثر النصارى يحاول هؤلاء إضفاء صفة القدسية والرسولية على كتبة الأناجيل سواء بطريق مباشر كما ادعوا في مرقس أو بطريق غير مباشر كما زعموا بشأن ، صاحب هذا الإنجيل الثالث ، فقد زعموا أن لوقا كان تلميذا لبولس، وبولس عندهم رسول وبذلك يكون إنجيل لوقا مكتوبا بطريق الإلهام وبمعاونة الروح القدس الذي امتلأ منه بولس الرسول المدعى .

وإثبات أن لوقا ليس حواريا أمر لا يستدعى مشقة ولا إعمال البراهين والحجج إذ يكفى في قفل هذا الباب أن نذكر ما قاله لوقا نفسه في أول الإنجيل المنسوب إليه، إذ جاء فيه: « إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة ، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به [٢] .

فهذا النص يتضمن اعترافا من لوقا بأنه لم يكن مشاهدا ولا معاينا لعيسى وإنما

---

(١) ابن جزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة) ج٢ ص٢ .
(٢) إنجيل لوقا (١ : ١ – ٤) .

تسلم هذه الأمور من جماعة آخرين كانوا معاينين ومشاهدين للمسيح عليه السلام ، وإذن فمن يكون لوقا ؟ وما علاقته ببولس ؟ وما علاقتهما بإنجيل لوقا ؟

ذكرت سابقا أن بعض النصارى يزعم أن لوقا كان تلميذا لبولس الذي كانت – وكما هو زعم النصارى ودعوى بولس نفسه – بينه وبين عيسى صلة مباشرة بعد نهاية عيسى على الأرض[١] ، وهذه الصلة التي قيل بوجودها بين بولس ولوقا ليست قضية مسلمة وإنما فيها خلاف بين علماء النصارى أنفسهم ، فبينما يؤكد البعض وجود هذه الصلة مستدلا بورود اسم لوقا كثيرا في رسائل بولس [٢] إذ بالبعض الآخر يشكك في هذه الصلة ويقلل من شأن أدلة الفريق الأول ، فلربما يكون لوقا المذكور في رسائل بولس شخصا آخر غير لوقا الذي كتب الإنجيل ف «لقد كان هناك لوقاما قد رافق بولس في رحلاته فهل هو نفس الشخص »[٣] ، إنه سؤال تصعب الإجابة عليه ، فلعله لوقا المصور ؟ ولعله لوقا الطيب ؟ كما قال ابن البطريق ، ولعله لوقا الطبيب المصور ؟ ولوقا أنطاكى من أنطاكية في رأى ابن البطريق ، ولكنه روماني من روما في رأى الدكتور بوست .

إنها احتمالات متعددة ترد في مثل هذا الموقف ، والذين قالوا بأن لوقا تلميذ لبولس لم يستطيعوا تحديد شخصية لوقا صاحب الإنجيل الثالث ، فإذا كان هؤلاء مختلفين في شخصية لوقا وموطنه وعمله فكيف لهم إثبات تلمذته لبولس ؟

---

(١) يقول شارل جنبير (أستاذ المسيحية بجامعة باريس) في كتابه « المسيحية نشأتها وتطورها ص٨٦ : ثار جدل طويل لم ينته إلى نتيجة حول التأكيد من أن بولس « رأى » عيسى ، والقضية التي تثبت لنا على أي حال هي أنه : لم « يعرفه » .

(٢) ففي الإصحاح الرابع من رسالته إلى كولوس « ويسلم عليكم لوقا الطبيب » وفى الإصحاح الرابع من رسالته الثانية إلى أهل تيموثاوس يقول « لوقا وحده معي » وفى رسالته إلى فيليمون يقول « مرقس وإسترخس وديماس ولوقا العاملون معي ».

(٣) موريس بوكاى ، القرآن الكريم ٨٨ .

ولو أعدنا قراءة أول إنجيل لوقا لوجدناه يقول « كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة » ونحن نرى هنا أن الذين سلموا هذه الأمور المتيقنة موصوفون بأنهم منذ البدء أي منذ مجيء عيسى كانوا معاينين وخداما له لأنه هو الكلمة عندهم ، وبولس لم يكن منذ البدء معاينا ولا خادما للكلمة ، وإذن فلا صلة لبولس بإنجيل لوقا ولا علاقة للرسولية والقدسية بهذا الإنجيل .

وحتى لو أخذنا بهذا الرأي الذي يقول بأن لوقا كان تلميذا لبولس فإن هذا لن يكسب الإنجيل الثالث قدسية وإلهاما لأن بولس ليس له شرف المعاينة لأحوال عيسى والتلمذة عليه في حياته ، وليس من السبعين الذين أرسلهم عيسى ليتقدموه إلى المدن الإسرائيلية بالدعوة الجديدة ، وليس من بين المائة والعشرين الذين قيل إنهم امتلأوا من الروح القدس .

ولقد ذكر لوقا – في أعمال الرسل – قصة دخول بولس في المسيحية ومنها يثبت أن هذا كان بعد نهاية عيسى على الأرض ، ودعوى بولس أن عيسى ظهر له وأمره بالتبشير بالإنجيل فاكتسب صفة الرسولية بهذا ، هي دعوى لا شاهد لها ، من كتب النصارى إلا ما جاء في أعمال الرسل ومؤلفه وهو لوقا دارت حوله شكوك واختلافات وعليه فلا يحق لأحد الاستشهاد بهذا المؤلف في إثبات الرسولية لبولس.

وثبوت التلمذة للوقا والأستاذية لبولس لا يلزم عليه أن يكون لوقا قد كتب إنجيله بمساعدة بولس ومباركته لهذا الإنجيل وذلك لاعتبارات عدة:

فلو أخذنا بالرأي المختار عند البعض من النصارى وهو أن لوقا كتب إنجيله في أخيا سنة ٦٣م فإنه على هذا الرأي لا يمكن تحقق اللقاء بين لوقا وبولس في هذا العام وما بعده لأن بولس أطلق سراحه من الأسر عام ٦٣م ثم ذهب إلى أسبانيا والمغرب[١] ولم يثبت أنه جاء إلى المشرق ، وأخيا – التي كتب بها لوقا إنجيله – من بلاد المشرق .

---

(١) وهذا قد ورد في رسالة بولس إلى رومية (١٥ : ٢٣ / ٢٤) .

يقول رحمة الله الهندى « المختار عند العلماء البروتستنت الآن أن لوقا كتب إنجيله سنة ٦٣م وكان تأليفه في أخيا وهذا الأمر محقق أيضا أن مقدسهم بولس أطلق من الأسر سنة ٦٣م ثم لا يعلم حاله بعد الإطلاق إلى الموت بالخبر الصحيح لكن الغالب أنه ذهب بعد الإطلاق إلى أسبانيا والمغرب لا إلى الكنائس المشرقية ، وأخيا من بلاد المشرق ، والظن الغالب أن لوقا أرسل إنجيله بعد ما فرغ من تأليفه إلى ثاوفيلس الذى ألف لوقا الإنجيل لأجله ... ولم يثبت من موضع بدليل أن ثاوفيلس لقى مقدسهم فلا يثبت رؤية مقدسهم هذا الإنجيل »[١] .

وإذا أخذنا برأي بعض النقاد الذين يغلبون تاريخ تحرير إنجيل لوقا بما بين ٨٠م – ٩٠م فإنه لا يمكن لبولس أن يعرف شيئا عن إنجيل لوقا ، لأن بوليس أطلق سراحه عام ٦٣م – كما ذكرنا من قبل – ولم يكتب لوقا شيئا عن بولس بعد إطلاقه كما لم يعلم حال بولس بعد الإطلاق إلى الموت بالخبر اليقين ، وهذا يؤكد انتفاء اللقاء بين بولس ولوقا بعد الإطلاق ، وبالتالي عدم رؤية بولس لإنجيل لوقا يقول هورن في تفسيره « لما لم يكتب لوقا حال بولس بعد ما أطلق لم يعد بالخبر الصحيح حاله من السفر وغيره من حين الإطلاق الذي كان في سنة ٦٣ إلى الموت»[٢] .

ولو كان قد التقى لوقا ببولس بعد إطلاق سراح هذا الأخير لكان قد حدثنا لوقا بشيء عن حياة بولس في الأسر وما بعد الأسر ، إن لم يكن في إنجيله فليكن في أعمال الرسل ولكن شيئا من ذلك لم يكن ، فدل هذا على أن بولس لا علم له ولا معرفة عنده بإنجيل لوقا .

ولم يَسْلَمْ الإنجيل الثالث من الاختلاف حول العام الذي ألف فيه ، فهورن يرجح أن هذا الإنجيل ألف سنة ٥٣ أو ٦٣ أو ٦٤ [٣] ، والترجمة المسكونية للعهد

---

(١) رحمة الله الهندى ، إظهار الحق ج١ ص٣٣٢ .
(٢) المرجع السابق ص٣٣٢ .
(٣) المرجع السابق ص١٣٥ .

الجديد تحدد هذا التاريخ بما بين ٨٠م – ٩٠م [١] ، أما « ول ديورانت » فيذكر أن هذا الإنجيل يعزى عادة إلى العهد الأخير من القرن[٢] الأول ، ومعنى هذا أن الإنجيل الثالث ألف بعد عام ٩٠م .

وبهذا يصعب على صاحب الرأي الحر والفكر الحق أن يثق في إنجيل أكد صاحبه أنه قصة كغيره من الأناجيل القصصية السابقة عليه ، والقصة يدخل فيها الخيال ، والخيال يميل إلى عالم بعيد جدا عن الحقيقة .

كما أن إنجيلا بهذا الأمر من الاختلاف حول شخصية كاتبه وموطنه وتاريخ كتابته أدعى لأن ينظر إليه كأي كتاب تاريخي أو فلسفي أو قصصي.

د- إنجيل يُوحنا

هذا هو الإنجيل الذي يرى غالبية النصارى وعامتهم أن يوحنا الحواري صاحبه، وهو الذي حرره وكتبه تبعا لمشاهداته ومعاينته لأحوال عيسى عليه السلام وهذه ميزة فريدة أكسبت هذا الإنجيل مكانة عالية تدفع عنه الشك والانتقاص من درجته وقدسيته، هكذا يقولون.

وهذا الرأي وإن كان يؤمن به الكثير من النصارى فإن العلماء المحققين والمؤرخين المدققين الذين يؤبه برأيهم ويعتد بفكرهم قد برأوا يوحنا الحواري من نسبة هذا الإنجيل إليه لأن به متناقضات يستحيل معها أن يكون هذا الإنجيل صادرا عن حواري عيسى وتلميذه الأمين.

وموقفنا تجاه هؤلاء الذين يزعمون أن يوحنا الحواري هو كاتب الإنجيل المسمى باسمه هو مطالبة هذا الفريق بالسند المتواتر الذي يثبت نقل هذا الإنجيل نقلا متصلا عن أشخاص موثوق بهم ، ولكن لم يثبت وجود هذا السند وإلا لكانوا قد أشرعوه في وجه المعارضين لرأيهم والمخالفين لزعمهم والذين يشككون في هذا الإنجيل .

---

(١) موريس بوكاى ، القرآن الكريم ص٨٨ .

(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة ج١١ ص٢٠٩ .

بل على العكس من هذا فإن الفريق الذي ينفى نسبه إنجيل يوحنا إلى يوحنا الحواري قد استند في دعواه على أدلة واقعية وبراهين من نصوص هذا الإنجيل ذاته بما يؤكد أن يوحنا الحواري براء من هذا الإنجيل المملوء كفرا وشركا بالله تعالى .

جاء في صفحة ٢٠٥ من المجلد السابع المطبوع سنة ١٨٤٤ من (كاثلك هرلد) هكذا: « كتب إستادلين في كتابه أن كاتب إنجيل يوحنا طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية بلا ريب »[١] والمحقق والمؤرخ « برطشنيدر » ينفى أن يكون إنجيل يوحنا من تصنيف يوحنا الحواري فقال: « إن الإنجيل كله وكذا رسائل يوحنا ليست من تصنيفه بل صنفها شخص آخر في ابتداء القرن الثاني »[٢].

وإذا كنا نريد الحقيقة فهذه تصرح بها دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى الذين لا يعقل تواطؤهم على الكذب في دينهم وعلى حواري رسولهم عيسى ، هؤلاء العلماء يعلنون بلا مداراة ولا مواربة أن إنجيل يوحنا ليس من تصنيف يوحنا الحواري لأن الذي صنفه شخص آخر لهدف خبيث في نفسه « أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه به مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض وهما القديسان يوحنا ومتى ، وقد ادعى هذا الكاتب المزوِّر في متن الكتاب أنه الحواري الذي يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ووضعت اسمه على الكتاب نصا مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسب إليه ، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهودهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي – الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني – بالحواري يوحنا الصياد الجليلى فإن

---

(١) رحمة الله الهندى ، إظهار الحق ، ج١ ص١٣٣ / ١٣٤ .
(٢) رحمة الله الهندى ، إظهار الحق ، ج١ ص١٣٣ / ١٣٤ .

أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى »[١] .

وهؤلاء المنكرون نسبة إنجيل يوحنا إلى الحواري يوحنا الصياد محقون في هذا، والوقائع والأحداث تؤيدهم في رأيهم هذا ، ففي القرن الثاني الميلادي أنكر جماعة نسبة الإنجيل الرابع إلى يوحنا الحواري ، وقد كان موجودا في هذه الفترة شخصية مهمة لها ثقلها العلمي في تقرير الحقائق وهو أرينيوس تلميذ بوليكارب الذي كان تلميذا ليوحنا الحواري ، وسمع أرينيوس هذا الإنكار العلني الصريح ولكنه لم يرد على هؤلاء المنكرين ولم ينقض إنكارهم مستعينا في رده هذا بأنه سمع من بوليكارب – تلميذ يوحنا الحواري – صحة نسبة هذا الإنجيل إلى أستاذه حواري عيسى وتلميذه ، ولو أن هذا الإنجيل صحيح النسبة إلى يوحنا الحواري لكان قد أخبر بوليكارب تلميذه أرينيوس بهذا ولكان قد قام أرينيوس مدافعا عن صحة هذه النسبة وأفحم المنكرين لها .

وليس بمعقول أن أرينيوس لم يسمع نسبة هذا الإنجيل الرابع إلى يوحنا الحواري من أستاذه بوليكارب أو أنه قد سمعه ونسى هذا لأنه – أي أرينيوس – كان حافظا متقنا ، وواعيا ، وكان هو نفسه يعتد بهذه الميزة الفكرية فكان يقول عن نفسه سمعت هذه الأقوال بفضل الله بالإمعان التام وكتبتها في صدري لا على الورق[٢].

ومما يساعد على هذا الاتجاه - وهو إنكار نسبة الإنجيل الرابع إلى يوحنا الحواري- أن الأناجيل الثلاثة الأولى فيها تقارب ما فيما بينها ، ولكننا لا نجد هذا التقارب فيما بينها وبين الإنجيل الرابع ، ذلك أن هذه الأناجيل تختلف عن إنجيل يوحنا أسلوبا ومضمونا ، ولقد كان الخلاف شاسعا بين هذه الأناجيل المتشابهة شيئا ما وبين إنجيل يوحنا في قضية ميلاد عيسى ، فالإنجيل الرابع لم يذكر شيئا عن

---

(١) نقلا عن كتاب ((محاضرات في النصرانية للشيخ أبو زهرة (ط٣) ص٤٥ .
(٢) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق ج١ ص١٣٢ .

تفاصيل ميلاد عيسى ، لكنه ركز على أهم ما رآه في ميلاد عيسى وهو القول بأن أصل عيسى يرجع إلى أزلية الله تعالى وهذا كما جاء في أول الإنجيل » في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ، وهذا في البدء عند الله ، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ، فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس... كان في العالم وكون العالم به ولم يعرفه العالم... والكلمة صار جسدا وحل بيننا »[١].

إن هذا الاختلاف الشاسع بين الإنجيل الرابع والأناجيل الثلاثة السابقة هو الذي دعا الأب روجي إلى أن يقول في كتابه « مقدمة إلى الإنجيل » عن هذا الإنجيل الرابع « إنه عالم آخر » وهو الذي دعا الكاتب « أ – كولمان » في كتابه «العهد الجديد» إلى أن يرى هذا الإنجيل كتابا يحتوى على اختلاف في الآفاق اللاهوتية »[٢].

والنظرة المنطقية تقول لو كان هذا الإنجيل من وضع يوحنا الحواري لكان واجبا – وليس جائزا فقط – أن يكون هو وإنجيل متى متوافقين ومتفقين في كل شيء ، فإن لم يكن في الألفاظ والمعاني فعلى الأقل في الأحداث والمضامين ، وذلك لأن متى ويوحنا كانا تلميذين لعيسى ومرافقين له فليس بمعقول أن تختلف الفكرة في هذا الإنجيل عن ذاك الإنجيل ، وليس بمعقول أن تكون أحداث هذا الإنجيل أكثر عددا من أحداث ذاك الإنجيل لأن مقتضى الحوارية والتلمذة أن يلتزما بالصدق فيما يكتبانه وعدم الزيادة أو النقص في شيء مما قاله عيسى أو صدر عنه من أفعال .

إن الاختلاف بين إنجيلين منسوبين إلى تلميذين لعيسى يدل دلالة قاطعة على أن كليهما ليسا من وضع متى الحواري ولا يوحنا تلميذ عيسى.

وإذا كان متى حواريا ويوحنا حواريا فلم لم يقتف يوحنا طريق متى ويسير على

---

(١) إنجيل يوحنا (١ : ١ – ١٤) .

(٢) موريس بوكاى ، القرآن الكريم ص٩٠.

نهجه باعتبار أن حياة عيسى وأقواله وأفعاله لن تختلف من تلميذ إلى تلميذ آخر ؟

ولو كان إنجيل يوحنا من وضع يوحنا الحواري فلماذا تأخر في كتابة هذا الإنجيل عن غيره من السابقين عليه ممن ليسوا بحواريين ؟ وَلِمَ لَمْ يسارع بتسجيل وقائع حياة عيسى وأقواله وأفعاله قبل أن تضيع أو تتبدل أو تتغير ؟ إن مقتضى المحبة الخاصة التي كانت بين عيسى ويوحنا أن يحافظ يوحنا ويحفظ جميع ما صدر عن عيسى ويكون أول تلميذ يقوم بتسجيل هذا وإبلاغه لبنى إسرائيل وتعليمهم إياه.

وهل يعقل في إنجيلين نسبا إلى تلميذين لعيسى أن تتضارب أقوالهما وتتناقض حول تحديد الفترة الزمنية التي مكثها عيسى على الأرض داعيا إلى الله تعالى بهذا الدين الجديد؟

إن كلا من إنجيل متى ويوحنا – المنسوبين إلى تلميذين لعيسى – قد اختلفا في تحديد هذه المدة ، فبينما يحددها متى بفترة زمنية تقل عن العامين إذ بيوحنا يحددها بأكثر من عامين[1] ، وتوضح الترجمة المسكونية للعهد الجديد هذا الاختلاف والتضارب فتقول : «على حين تحدثنا الأناجيل الثلاثة المتوافقة عن فترة طويلة بالجليل تتبعها مسيرة نحو الناصرة ... تمتد قليلا أو تقصر ثم يليها أخيرا المكوث فترة قصيرة بالقدس فإن يوحنا على العكس يسرد انتقالات عدة للمسيح من منطقة إلى أخرى ويتحدث عن مكوثه فترة طويلة بأرض الناصرة... وبالقدس على وجه خاص... ويشير إلى احتفالات فصحية متعددة.. وهو بهذا يوحى بأن بعثة المسيح قد دامت أكثر من عامين »[2].

ودون نظر إلى صحة هذا القول أو ذاك الحديث ، ودون نظر إلى تعارض هذين

---

(١) الرأي الصحيح عند المسلمين أن عيسى عليه السلام مكث على الأرض داعيا إلى الله تعالى مدة ثلاث سنين .

(٢) موريس بوكاى ، القرآن الكريم ص٩٣ .

القولين مع رأى المسلمين فإننا أمام إنجيلين منسوبين إلى تلميذين لعيسى عليه السلام قد اختلفا في فترة بعثته ، وهذا دليل واضح وجلي على أن كلا من الإنجيلين ليسا من وضع متى ويوحنا الحواريين لأن زمن البعثة لا يختلف فيه اثنان كانا قريبين من عيسى ومشاهدين لجميع أحواله وأفعاله من بدء بعثته حتى نهايتها فكيف وأنتم تدعون أنهما رسولان ملهمان ومملوآن من الروح القدس ؟

ويؤكد رحمة الله الهندي عدم صحة نسبة إنجيل يوحنا إلى يوحنا الحواري بأن تصنيف الكتب في الزمن الماضي – قبل المسيح وبعده – كان قائما على طريقة خاصة هي أن المصنف لو كان يكتب حالات نفسه والمعاملات التي رآها بعينه كان يكتب بحيث يظهر لنا كتابه أنه كتب حالات نفسه والمعاملات التي رآها[١] ، ولا يظهر من هذا الإنجيل أن يوحنا يكتب الحالات التي رآها بعينه والذي يشهد له الظاهر مقبول ما لم يقم دليل قوى على خلافه .

أيضا جاء في إنجيل يوحنا ، الإصحاح ٢١ النص ٢٤ قوله « هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق » فقال كاتبه في حق يوحنا هذه الألفاظ هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وشهادته « بضمائر الغائب ، وقال في حقه « نعلم » على صيغة المتكلم فعلم أن كاتبه غير يوحنا » .[٢]

فلو كان يوحنا الحواري هو كاتب هذا الإنجيل لكان قد قال: هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ويعلم أن شهادته حق ، ولكنه فرق في الضمائر وقال « نعلم » ، فهذا الذي قال عن نفسه ونعلم هو كاتب الإنجيل الرابع وليس يوحنا الحواري .

وإذا لم يكن النصارى متفقين حول تحديد محرر إنجيل يوحنا فهم أيضا مختلفون

---

(١) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق ج١ ص١٠٦ .
(٢) المرجع السابق ص١٣١ / ١٣٢ .

حول السنة التي كتب فيها هذا الإنجيل ، فالدكتور بوست – صاحب قاموس الكتاب المقدس – يرجح أن هذا الإنجيل قد كتب سنة ٩٥م أو ٩٨ ، أما هورن فإنه يجعل تاريخ تدوين هذا الإنجيل مترددا بين ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٨٩ ، ٩٧ ، ٩٨ ميلادية [١] .

وهكذا ومنذ الإنجيل الرابع حتى عصرنا الحاضر مازالت الاختلافات قائمة حول شخصية صاحب هذا الإنجيل وتاريخ تأليفه ، وإنجيل هكذا مجهول النسب والنسبة ، مجهول التاريخ والزمن لا يصح أن يقال إنه كتاب مقدس أو أنه كتب بالإلهام ، ولا يجوز الاستناد إليه في تقرير الحقائق والعقائد أو الوثوق به .

وعموما فإنه لكي «يكون الكتاب الديني حجة – يجب الأخذ به على أنه شريعة الله ودينه ، ومجموع أوامره ونواهيه ، ومصدر الاعتقاد ، وأساس الملة – يجب أن يتوافر في هذا الكتاب أمور :

أحدها: أن يكون الرسول الذي نسب إليه قد علم صدقه بلا ريب ولا شك وأن يكون قد دعم ذلك الصدق بمعجزة ، أي بأمر خارق للعادة قد تحدى به المنكرين المكذبين وأن يشتهر أمر ذلك التحدي وهذا الإعجاز ، ويتوارثه الناس خلفا عن سلف ، ويتواتر بينهم تواترا لا يكون للإنسان مجال لتكذيبه .

ثانيا: ألا يكون ذلك الكتاب متناقضا مضطربا يهدم بعضه البعض ، فلا تتعارض تعليماته ، ولا تتناقض أخباره ، بل يكون كل جزء منه متمما للآخر ومكملا له ، لأن ما يكون عن الله لا يختلف ، ولا يفترق ، ولا يتناقض ، بل إن العقلاء في كتبهم يتحرزون ألا يتناقض قولهم ، ولا يختلف تفكيرهم .

ثالثا: أن يدعى ذلك الرسول أنه أُوحِيَ إليه به ، ويدعم ذلك الادعاء بالبينات الثابتة ، وهى المعجزات التي بُعِثَ بها الرسول ، ودعا إلى كتابه على أساسها ، ويثبت ذلك الادعاء بالخبر المتواتر ، أو يثبت بالكتاب نفسه .

---

(١) المرجع السابق ص١٣٥ .

رابعا: أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول الذي نُسِبَ إليه ثابتة بالطريق القطعي، بأن يثبت نسبة الكتاب إلى الرسول بحيث يتلقاه الأخلاف عن الأسلاف جيلا بعد جيل من غير مظنة للانتحال... وهل الكتب المقدسة عند النصارى... مستوفية هذه الشروط فتكون ملزمة للكافة[١] ؟)) .

وبعد:

فهذه صورة عن الأناجيل أرجو أن تكون واضحة ووافية ، وقد أطلت فيها لكي أبين أن أهم ما يستند إليه النصارى في إثبات القدسية في أناجيلهم هو بنيان واهٍ .

هذا السند التي تتغنى به الكنيسة ويفاخر به غالبية النصارى سند متداعٍ لا يثبت أمام الحقائق ، فأصحاب الأناجيل لا تُعْرَفُ حقيقتهم ، والأسماء الموجودة على هذه الأناجيل لا يعرف هل هم كاتبوها أم كتبة آخرون؟ ولا يعرف متى كتبت هذه الأناجيل ؟ وفى أي مكان كتبت ؟ هذه الأمور - وغيرها كثير - غير محققة وغير ثابتة بالأدلة اليقينية مما جعل الكثيرين ((من قراء الأناجيل يشعرون بالحرج بل بالحيرة عندما يتأملون في بعض هذه الروايات ، أو عندما يقارنون روايات مختلفة لحدث واحد مروى في كثير من الأناجيل)) [٢].

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية (ط٣) ص٨٤ / ٨٥ .

(٢) موريس بوكاى ، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، ص٦٥ .

الفصل الثالث

مصادر الأناجيل

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

مصَادر الأناجيل

لعل البعض يتعجب من هذا العنوان ويتساءل: كيف يكون للأناجيل مصادر متعددة والمفروض أن لا يكون لها إلا مصدر واحد هو الإنجيل الذي نزل على عيسى ؟

ولكن من يدرس تاريخ الأناجيل يرى أنها تطورت من حال إلى حال ، وفى مراحل تطورها كانت تحدث تعديلات بالتنقيح أو بالحذف والزيادة ، فزادت المصادر تبعا لهذا التطور الذي لحق هذه الأناجيل ، وآباء الكنيسة أنفسهم يعترفون بهذه التعديلات مع تحرجهم منها ، فالأب بينوا [١] يقول « إن أشكال الأقوال أو الروايات الناتجة عن تطور طويل للتراث لا تتمتع بنفس صحة الأقوال أو الروايات الموجودة أصلا ، وقد يدهش بعض قراء هذا الكتاب أو قد يشعرون بالحرج عندما يعلمون أن هذا القول للمسيح أو هذا المثل أو ذاك التصريح بمصيره لم تُقَل مثلما نقرأ اليوم ، وأن هؤلاء الذين نقلوا هذا إلينا قد أجروا عليه لمسات وتعديلات»[٢].

ولقد اعتمدت الأناجيل في أول مراحلها على التراث [٣] الشفهي الذي حفظه الحواريون من إنجيل عيسى أو من مشاهدة حياته وأحواله أو من تجاربهم مع الدعوة والمدعوين إليها .

ثم ظهرت كتابات تناولت بعض من أمور الدعوة كقضية الإيمان مثلا ، كما تناولت بعضا من أقوال المسيح وروايات آلامه ، ومن مجموع العناصر الشفهية والكتابية كتبت نصوص « تتكيف مع مختلف الأوساط وتستجيب لاحتياجات الكنائس وتعبر عن تأمل في الكتاب المقدس وتصحيح الأخطاء وترد بهذه المناسبة

---

(١) من آباء الكنيسة الذين اهتموا بدراسة العهد الجديد ، وهو أستاذ بمعهد الكتاب المقدس بالقدس ، اشترك مع الأب يومار في طبعة الأناجيل الأربعة التوافقية (١٩٧٢ ـ ١٩٧٣) .

(٢) موريس بوكاى ، القرآن الكريم ، ص٩٦ .

(٣) يرى الباحث « أ ـ كولمان » أن الإنجيل بقى تراثا شفهيا مابين ٣٠ ـ ٤٠ سنة .

على حجج الخصوم ، وبهذا الشكل جمع ودون المبشرون كل بحسب وجهة نظره ما قد أعطتهم إياه الأقوال المتوارثة الشفهية »[١] .

وفى دراسات حديثة ظهرت نظرية جديدة للأبوين « بينوا » « ويومار» ملخص هذه النظرية أن الأناجيل الأربعة قامت على مصادر متعددة ومرت بمراحل مختلفة ، فأما مصادر هذه الأناجيل فهي:

١- الوثيقة (أ) وهذه وثيقة نبعت من أوساط يهودية مسيحية ، وهذه الوثيقة ألهمت كلا من متى ومرقس في كتابتهما للإنجيلين المسميين باسميهما ، وإذن فهذان الإنجيلان متأثران ببعض العناصر اليهودية وبعض العناصر الأخرى المسيحية

٢- الوثيقة (ب) وهى إعادة تفسير للوثيقة (أ) استخدمتها الكنائس الوثنية المسيحية ، وهذه الوثيقة ألهمت جميع المبشرين ماعدا متى .

ومن المعلوم أن التفسير لأي نص يكون للصنعة البشرية فيه دخل كبير ، وكأن الأناجيل – حسب هذه النظرية – قد دخلها الكثير من الصنعة البشرية .

٣- الوثيقة (ج) وهذه الوثيقة كانت مصدرا أخذ عنه مرقس ولوقا ويوحنا .

٤- الوثيقة (ق) وهذه الوثيقة تكون معظم المصادر الشائعة بين متى ولوقا ولذلك تسمى عند الباحثين بالوثيقة المشتركة[٢] .

وهذه الوثيقة هي التي يقول عنها العقاد « ويرجح المؤرخون المختصون بهذه المباحث أن الأناجيل جميعا تعتمد على نسخة آرامية مفقودة يشيرون إليها بحرف (ك) مختزلة من الكلمة quelle بمعنى الأصل ، ومنهم من يسمى هذه النسخة لوجيا logia بمعنى الأقوال ، ويريدون به الأقوال الشفوية التي سُمِعَتْ ثم كُتِبَتْ على القول الراجح عندهم باللغة الآرامية ، ويعللون اتفاق متى ولوقا في بعض النصوص باعتمادها معا على تلك النسخة المفقودة »[٣] .

---

(١) موريس بوكاى ، القرآن الكريم ص٧٧ (الترجمة المسكونية على العهد الجديد) .

(٢) موريس بوكاى ، القرآن الكريم ص٩٦ / ٩٧ .

(٣) عباس محمود العقاد ، حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث ، (ط٢ بيروت سنة ١٩٦٩) ص٢٣٢ .

وهذه الوثائق الأربع لم تكون الصيغة النهائية للأناجيل الأربعة وإنما كونت تآليف وسيط – مرحلة انتقالية – خاصة بكل إنجيل ، فأصبح هناك وسائط أربع أدت إلي الصيغة النهائية للأناجيل الأربعة.

وهذه النظرية- وقد اختصرتها بما لا يخل بمفهومها- تعني أن الأناجيل الموجودة الآن قد خضعت للتعديلات في مرحلة الوثائق الوسيطة ، وهذا يؤدي إلي أن الأناجيل الموجودة الآن ليست هي الإنجيل الذي نزل علي عيسي بل ليست قريبة منه ، وليس فيها شيء من القدسية والإلهام ، والسند فيها مقطوع مبتوت .

وهذه الصورة أضعها أمام القارئ مأخوذة عن الرسم البياني الذي وضعه موريس بوكاي تصويرا للنظرية التي قال بها الأبوان بينوا ويومار:

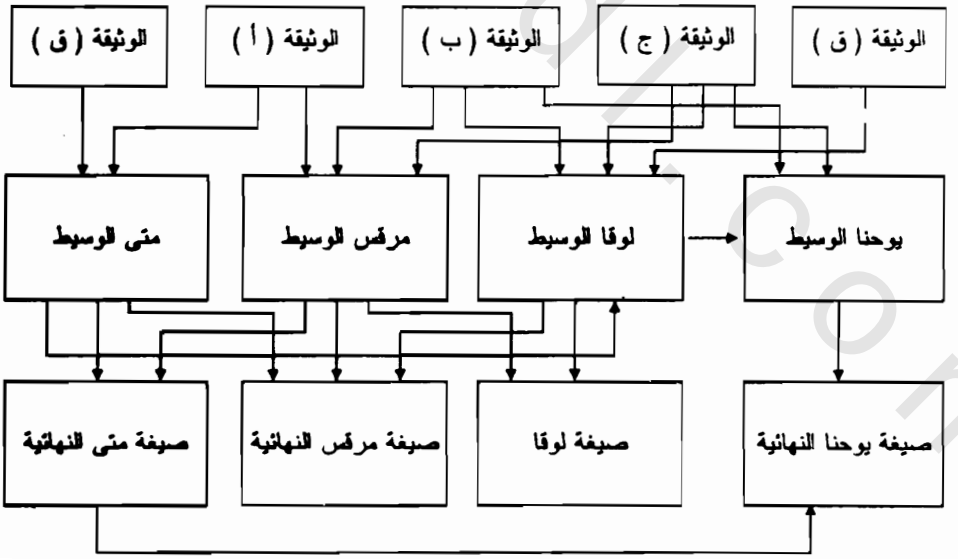

ومن هذا الرسم البياني يتبين أن مصادر كل إنجيل في المرحلة الوسيطة هي كما يلي :

إنجيل متى: وهذا له مصدران هما :

١) الوثيقة (أ) وهي التي نبعت من أوساط يهودية ومسيحية

٢) الوثيقة (ق) وتسمي الوثيقة المشتركة لأنها مشتركة بين متى ولوقا

إنجيل مرقس : وهذا له ثلاثة مصادر هي :

١) الوثيقة (أ) وهي كما عرفناها في متى

٢) الوثيقة (ب) وهي إعادة تفسير للوثيقة (أ)

٣) الوثيقة (ج)

إنجيل لوقا : وهذا له أربعة مصادر هي :

١) الوثيقة (ب)

٢) الوثيقة (ج)

٣) الوثيقة (ق)

٤) صيغة متى الوسيطة

إنجيل يوحنا : وهذا له ثلاثة مصادر هي :

١) الوثيقة (ب)

٢) الوثيقة (ج)

٣) صيغة لوقا الوسيطة

فأما مصادر الصيغة النهائية للأناجيل الأربعة حسب نظرية بينوا ويومار فهي كما يلي:

obeikandl.com

إنجيل متى : له مصدران هما :

١) صيغة متى الوسيطة

٢) صيغة مرقس الوسيطة

إنجيل مرقس : له ثلاثة مصادر هي :

١) صيغة مرقس الوسيطة

٢) صيغة متى الوسيطة

٣) صيغة لوقا الوسيطة

إنجيل لوقا : له مصدران هما :

١) صيغة لوقا الوسيطة

٢) صيغة مرقس الوسيطة

إنجيل يوحنا : له مصدران هما :

١) صيغة يوحنا الوسيطة

٢) صيغة متى النهائية

وبهذا العرض لهذه الأناجيل يتبين للقارئ أن المتأخر آخذ عن المتقدم ، والمتقدم آخذ عن المتأخر ، وما يقال إنه تلميذ لعيسي آخذ عمن ليس تلميذا لعيسى ، وهذا يعني أن هذه الأناجيل ألفها جماعة بعيدة عن الرسولية والقدسية ونسبوها إلي تلاميذ عيسي – بطريق مباشر أو غير مباشر – لإضافة صفة القداسة على هذه الكتب .

وحين نعيد النظر مرة أخري في موضوع المصادر فإننا سنجد وثيقة مشتركة بين بعض الأناجيل ، والبعض الآخر آخذ عن وثيقة خاصة ، فإذا علمنا أن المصدر الحقيقي – والمفترض أن تأخذ عنه جميع الأناجيل – واحد وهو إنجيل عيسي عليه

السلام - ، والرسول الحق واحد وهو المسيح عيسي ابن مريم ، تبين لنا أن الأناجيل الموجودة الآن فيها الكثير مما ليس له صلة بعيسي ولا بأقواله ولا بأفعاله ، وهذا ينفي عنها الثقة والأمانة في النقل ، ويهدم السند الذي تفتخر به الكنيسة ويتشدق به النصارى اعتزازا وتعاليا .

وإذا كنا قد انتهينا إلي فساد سند هذه الأناجيل وأثبتنا عدم الصدق والأمانة في نقلها وكتابتها ، فماذا عن المتن والنص ؟ هل متن الأناجيل متفق مع الديانات السابقة واللاحقة ؟ هل هذا المتن متفق مع العقل والواقع والمنطق؟ هذا هو الموضوع التالي.

* * *

obeikandl.com